

مؤتمر القمة العربى يناير سنة ١٩٦٤

١٠ جمال عبد الناصر

الديمقراطية .. القضاء .. الحريات

هذا الجزء من الحوار، بداية لمناقشة قضية طويلة تتعلق بالديمقراطية، وبالحريات، والصحافة والصحفيين وموقف عبد الناصر من القضاء وما أطلق عليه البعض عن عمد مذبحة القضاء، ثم يمتد إلى مسائل أخرى كثيرة فرعية، ولكنها هامة أيضا على الأقل لأنها تكمل الصورة عن العصر من داخله . . .

ويقول لنا سامى شرف إن عبد الناصر كان قد قرر أن تأخذ مصر بنظام التعدد الحزبى بدءا من عام ١٩٧٥ ـ على وجه التحديد ـ حيث نكون قد أزلنا العدوان من الأرض العربية تماما، وأزلنا أيضا آثار العدوان ـ ذلك كان مخطط عبد الناصر الذى كتبه فى مفكرته، والذى ناقشه فى بعض اجتماعاته المغلقة، وهى اجتماعات مسجلة أحيانا بالصوت، وفى أحيان أخرى بالصوت والصورة . .

ولقد بدأ سامى شرف حياته فى القسم الخاص التابع لجهاز المخابرات، وكان مقره وزارة الداخلية، قبل أن يلتقى بالرئيس جمال عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى، ويعهد إليه بإنشاء مكتب الرئيس للمعلومات، وعندما قال لى إنه فى بداية تنظيمه للمكتب استعان بزملاء أكاديميين فى جهاز المخابرات العامة ضمن من استعان بهم من الأساتذة والعلماء والخبراء فى التنظيم والإدارة . . سألته : ـ

● تقصد أنك استعنت بالمخابرات الحربية، حيث إن المخابرات العامة لم تكن قد أنشئت بعد؟ . .

قال . .

ـ إن المخابرات العامة تأسست عام ١٩٥٥ ولو أن الدراسات التنظيمية والتمهيدية لها بدأت منذ نهاية سنة ١٩٥٣ تقريبا .

● هل لهذا التاريخ علاقة بحوادث الإرهاب التى قام بها الإخوان المسلمون عام ١٩٥٤؟

ــ من ناحية الشكل ترتب على حوادث الإخوان ووقوع قلاقل داخلية الإسراع فى إنشاء أجهزة أمنية قادرة على التصدى للأحداث المضادة للثورة، أما من ناحية الموضوع ففكرة تنظيم أعمال الأمن الداخلى على أسس علمية كانت موجودة من قبل.

● من قبل الثورة؟

ــ قبل الثورة كان فى مصر البوليس السياسى، وبوليس السراى الملكية والأمن العام، والمخابرات الحربية فقط.

● من كان يقوم بعمل المخابرات العامة؟

ــ بالنسبة للداخل البوليس السياسى.

● الذى يختلف عن بوليس السراى؟

ــ بوليس السراى شىء.. والبوليس السياسى شىء آخر.

● بوليس السراى. هل هو الحرس الملكى فى ذلك الوقت؟

ــ الحرس الملكى قوات مسلحة، وبوليس السراى شرطة، ولم يكن فى الحرس الملكى كله ضابط شرطة واحد.

● هل كان لبوليس السراى مهام سياسية، أم أن مهامه كانت كلها أمنية؟

ــ بعد الثورة اكتشف أن الحرس الملكى كان ينسق مع البوليس السياسى فى المسائل السياسية، لكن الشكل المعروف أن مهمته كانت حماية الملك وعائلته، وعندما اطلعنا على الأوراق بعد الثورة اكتشفنا المهام السياسية لبوليس السراى.

● الأمن الخارجى مسئولية من قبل الثورة؟

ــ عملياً لم تكن هناك مؤسسة متخصصة فى حماية أمن مصر خارجيا..

● أقصد حماية البلاد من الاختراق الخارجى.

ــ الحماية من التآمر الخارجى، وغيره، كان محصورا فى وزارة الداخلية، من الذين تحميهم، ومن ماذا تحميهم..

● والمخابرات الحربية؟

ــ كانت واجباتها أمن القوات المسلحة، ولديها بعض الكتب والدراسات المطبوعة عن العدو، أما معلومات بمعنى الكلمة، وما تتطلبه من تتابع واستمرارية ووثائق فلم تكن موجودة.

● نعود الى لقائك الأول بالرئيس من أجل أنشاء مكتب المعلومات.. هل كانت أول مرة تدخل بيت الرئيس؟

ــ لا.. كنت قد دخلته من قبل أكثر من مرة، فكما قلت، كانت توجه لى تكليفات خاصة من الرئيس، وكانت تعليمات السيد زكريا محيى الدين أن أقدم تقريرى للرئيس، وقد علمت بعد ذلك ــ سنة ١٩٥٨ ــ من الرئيس اننى كنت تحت الاختبار بهذه التكليفات الخاصة.

● تابعت الرئيس فى بيته منذ بداية الثورة، حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، فما هى التغيرات التى وقعت على البيت؟

ــ البيت كان سكناً لناظر المدرسة الثانوية العسكرية قبل الثورة، ثم خصص لجمال عبد الناصر..

● عندما خصص للرئيس هل كان يسكنه أحد؟

ــ لا.. لم يكن به أحد، وكان يتكون من طابقين، وكل طابق به أربع حجرات، ومنذ سنة ١٩٥٢ حتي سنة ١٩٧٠، أضيف الى البيت على وجه التحديد، بعض الأثاث، وكان مملوكا للدولة، فيما عدا أشياء بسيطة تخص الرئيس، وأضيفت بالطابق الأرضى غرفة صالون، حيث كانت تتداخل اللقاءات أحيانا مما استلزم وجود صالون آخر، وفى سنة ١٩٦٩ أضيف مصعد بعد إصابة الرئيس بأول أزمة قلبية فأمر الأطباء ألايستخدم الرئيس السلم الداخلى، وكانت غرف الأسرة، وغرفة نوم الرئيس، وغرفة طعامه بالطابق الثانى، أما الطابق الاول، فهو مخصص للاستقبال وكان به مكتبه

وغرفة طعام رسمية، وعندما أريد إنشاء المصعد عارض الرئيس ، ولكن الأطباء قالوا : إن صعود السلم، فى حد ذاته مرفوض، واستمر بعد إنشاء المصعد يستخدم السلم لمدة شهرين أو ثلاثة وعندما نسأله يقول : أنا مش واخد على الأسانسيرات .

● هل حدثت إضافات بالحديقه؟

ـ الحديقة كانت موجودة أصلا، واقتطع حوالى مائة متر من جراج السيارات لتوسيعها، حتى يمارس الرئيس فيها طابور المشى الذى كلفه به الأطباء بعد الأزمة القلبية لتنشيط الدورة الدموية .

● أول ملف وضع فى مكتب الرئيس للمعلومات هل تذكره؟

ـ لم يكن ملفا منفردا خاصاً بموضوع واحد لأن خطة انشاء المكتب وضعت على أساس علمى بأن يرفع لرئيس الدولة تقرير ، بدلاً من ملاحقته كل خمس دقائق أو عشر دقائق أو ساعة بمعلومة، فتجمع حصيلة نصف يوم ويوضع تقريران فى اليوم : صباحى ومسائى، توضع فيهما كل المعلومات الداخلية أو أهمها مقسمة إلى أبواب تخص كل الأمور الداخليه والخارجية ، والمعلومات ذات الطابع السرى تلحق بنفس التقرير، ويرفع الساعة الثالثة ظهرا بعد انتهاء يوم العمل ، والتقرير المسائى التاسعة ليلا أو العاشرة ليلا حسب الظروف، فى بعض الأحيان كانت توضع ثلاثة تقارير.

● كنت أسأل عن أول تقرير أعده مكتب المعلومات؟

ـ تقرير صغير يشتمل على ملخص البرقيات رمزية واردة من سفاراتنا بالخارج، بها أهم الاتصالات التى قام بها السفراء، والمفروض أن ترفع لرئيس الدولة، والجزء الثانى ملخص تقارير وزارة الداخلية عن الأوضاع الداخلية فى الوسط العمالى ، بشبرا الخيمة، حيث كانت المنطقة تشهد أحداثا فى تلك الفترة، وكان نشاطا لبعض عناصر الإخوان المسلمين والشيوعيين، كانت القلاقل فى مصانع النسيج للقطاع الخاص، بين العمال وأصحاب العمل ، وأخذت الطابع السياسى .

● هل تذكر آخر تقرير وضعته بيدك فى مكتب الرئيس للمعلومات؟

ـ آخر تقرير كان ورقة واحدة مكتوبة بخط يدى كتبت «أفندم . . الحمد لله العملية لم تتم»

● تقصد العملية التى كان يريد البعض أن يقوم بها لاغتيال الملك حسين؟

ـ نعم عملية الملك حسين . . ، وكان ذلك الساعة ٣ وعشر دقائق يوم ٢٨ سبتمبر، وقد أبلغت الرئيس كذلك تليفونيا بها لحظة وصوله عائدا من المطار بعد توديع الرؤساء والملوك حيث لم يدخل المكتب كالمعتاد بل صعد للدور العلوى مباشرة .

● وحفظت الورقة . . هل كتب الرئيس عليها تعليقا؟

ـ لا . رآها فقط . .

● لماذا مخاطبة الرئيس بكلمة أفندم . . لاحظت فى كثير من الوثائق التى نشرت انك باستمرار تكتب أفندم، كذا . . . . ؟

ـ كلمة أفندم لفظ مأخوذ عن العسكرية التركيه، وجيشنا القديم كانت الرتب فيه تركية، فاللفظ العسكرى التركى كان يستخدم فى المخاطبة من الأحدث للأقدم . .

● لماذا لم تقل : سيادة الرئيس . . كذا . . ؟

ـ فى بعض الأحيان كنت أقول سيادة الرئيس، لكن فى أغلب الأحيان كنت أقول : أفندم، عسكريا لها طابع الاحترام والحب والتقدير حسبما تعودنا فى مجتمعنا العسكرى القديم .

● الملفات التى وضعت فى هذا المكتب هل يمكن حصر عددها؟

ـ يصعب حصرها، فقد كانت مساحة الأرشيف سنة ٧٠ أو ٦٩ سطح مبنى كامل مساحته ٣٠٠ متر مربع .

● هذا الأرشيف يحوى تقارير من أوراق أم كانت هناك أشرطة مسجلة؟

ـ كان به أوراق ، أفلام سينمائيه، أشرطة تسجيل ، وثائق . . . إلخ .

● نتحدث عن أفلام التصوير . . ؟

ـ كان أغلبها وثائقى، من الأجهزة والسفارات خاصة بأحداث وقعت فى مصر أو بنشاط مؤيد أو معارض وترسل لنا ويراها الرئيس وتحفظ فى الأرشيف .

● أفلام سرية . . ؟

ـ فى الغالب لم تكن سرية، أغلبها وثائقى معلن ، المسائل السرية لم يكن العلم تقدم بعد لمثل هذه الأمور.

● ما هى الأشياء الأخرى . . ؟ غير الأوراق والأفلام . . ؟

ـ بعض العينات مثلا حقل تجارب زراعى جديد به نوعية من البذور تعطى محصولا معينا، هذا المحصول يعرض على رئيس الجمهورية، إذا كانت المادة تصلح للحفظ فتحفظ، مثل المعمل ، بحيث نرجع لها فى المستقبل ، نعرف المادة وتطوراتها، إما إذا كانت غير قابلة للحفظ فتعدم . .

● وأشرطة التسجيل . . ؟

ـ كقاعدة عامة بتعليمات دائمة من الرئيس أن كل لقاء بحضرة يسجل ، فجميع اللقاءات باستثناءات نادرة مسجلة، سواء الخاصة فى البيت أو فى غيره، فجميع جلسات مجلس الوزراء، واجتماعات اللجنة التنفيذية العليا، واللجنه المركزية للاتحاد الاشتراكى، ومجلس الرياسة مسجلة تسجيلا كاملا، بعد نهاية كل جلسه مباشرة، هناك متخصصون يقومون بتفريغ الأشرطة على ورق، وبعضها لا يفرغ، اللقاءات الخاصة مع الرئيس مثلا أنا أكون جالساً سامع وآخذ نقاطها ، فليس من المفروض أن يعرف أحد ، وهذه النقط توضع مع شريط التسجيل فى ملف وتحفظ ، فى أرشيف مخصص لأشرطة التسجيل.

● هل هناك تسجيلات خاصة . . تصنت على الناس . . ؟

ـ لا ليس هذا عملنا . . ولم يدخل فى اهتمامنا . .

● ألم يكن فى مكتب الرئيس . . أو فى مكتبك جهاز تستطيع أنت أن تتصنت به على المكالمات التليفونية الخاصة . . ؟

ـ هذا من عمل الأجهزة وقد تجده فى أجهزة أخرى وليس فى مكتب الرئيس.

● وهل كانت هناك أوراق يحتفظ بها الرئيس فى مكتبه . . ؟

ـ طبعا كان يكتب أحيانا ملاحظات بعد لقاءاته مع الشخصيات المختلفة، أو يكتب بعض أفكارة وآرائه أو مشاريع، وبعض التقارير المقدمة من سكرتارية

المعلومات، يضعها عنده داخل المكتب، وفق ما يرى هو ، ربما تظل ورقة بالداخل أسبوع أسبوعين ، أو أكثر أو أقل ، وبعد ذلك يتخذ فيها قرارا فاذا ما اتخذ القرار فى موضوع ما يعطيه لى للحفظ أو التنفيذ.

● كان لديه أرشيف خاص به . . ؟

ـ كانت غرفة المكتب لها ترتيب خاص، المكتب من ورائه أرفف يوضع عليها «البريد» اليومى بشكل معين، القرارات الجمهورية التى يوقعها ، والتقارير الاقتصادية ، التقارير الداخلية ، التقارير الخارجية بجوارها، وهكذا دراسات وأبحاث و . . . . و . . . و . . وخلافه . . كل له مكان وفى خانة أو خانتين أو ثلاثة خاصه به، ولا أحد يقرب منها لأنه يضع فيها أوراقا بخط يده، أو أوراقاً أخرى مقدمة من جهة ما، أو مسائل معلقه تحتاج لمزيد من تفكيره يضعها فى مكان معروف ، لا أحد يقترب منه، وكان المكتب منظماً الأوراق التى يطلع عليها توضع فى مكان متفق عليه، والتى لم يطلع عليها فى مكان آخر، لو دخلت المكتب فى أية لحظة دون أن يقول لى ، أعرف المسائل التى انتهى منها لأنه يضعها فى مكان معين، متعارف عليه بيننا.

● ضمن هذا الأرشيف للمعلومات . . هل كان هناك أرشيف لأشخاص . . ؟

ـ عندما يكتب جهاز ما تقريراً عن نشاط (س) من الناس، يفتح ملف للشخص بهذه الورقة، وليس من الضرورى أن يكون له نشاط معاد قد يكون نشاطه إيجابياً ، ويوضع فى الملف ما يتعلق بالشخص ، وإذا كانت هناك متابعة تضاف عليه . .

● من بينها التصرفات الشخصية . . ؟

ـ القاعدة العامة أن التصرفات الشخصية كانت تتابع فى حيز ضيق جدا، مالم تكن تمس أوضاعا عامه، بمعنى أن من يباشر مسئولية ما إذا باشر نشاطه فى إطار الجلسات الخاصة ، تكلف الجهات المعنية بمتابعة هذا النشاط الخاص.

● من أين عرفت هذه الجلسات وما فيها؟

ـ المعلومات تصل من الأجهزة المختصة مثلا تقول إن فلان الفلانى يجلس فى كباريه . . ويلتقى بفلان وفلان . . وفلان، والأحاديث التى تدور بينهم ليست جلسة

الكباريه ــ أوجلسة الفرفشة ــ إنها تمس موضوعات سياسية أو نشاطاً ما ، فالأجهزة تأخذ تعليمات أن تتابع أو يصرف نظر عن هذا الموضوع حسب التقييم ، والتقييم لم يكن منى ، الموضوع يعرض فى تقرير مبدئى على الرئيس ، وهو يقرر يتابع أو لا يتابع وهناك إضافة صغيرة ، كان الرئيس دائما يقول لى إن أى تقرير أو أية ورقة تأتى إليك من أية جهة مبينة على «نمى لعلمنا» لا تنظر فيها .

● **ممكن أن أسهر فى كباريه ــ وفقا للمثل الذى ضربته ــ وأجلس مع مجموعة من الأصدقاء ونتناول رأيا سياسيا معينا ، أساسا من الذى يبلغ أننى كنت فى هذا الكباريه . . ؟**

ــ الأجهزة هذا اختصاصها ، وواجبها . وهى لا تكتب عن اى شخص ، إن واجبها أن تتابع ، هذا ما يقوم به أى نظام ، فالأجهزة العين والأذن لأى نظام .

● **إذن الناس كلهم كانوا متابعين . . ؟**

ــ لا . . ربما كنت غير واضح هذه العمليات تبدأ بالنسبه للذين لهم نشاط والمتابعة تكشف ما إذا كان هذا النشاط ضارا ، إذا كان نشاطا غير ضار ، ولو من قبيل المعارضة لاترفضه . . ربما أسير فى طريق يأتى من يقول لى إن هذا الطريق خطأ ، ليس معنى ذلك أنه معاد ، ربما يقول ذلك لكى أصحح الخطأ ، أما اذا جاءت المتابعة بأن هناك أموالا تجمع ، وشراء سلاح ومنشورات ، فهذا أمر آخر معاد للنظام .

● **إذا أبدى رأى معارض ــ ولا أكتمك أنه كانت هناك آراء معارضه ــ حتى من أبناء الثورة أنفسهم ، كان بعضهم يعترض على تصرفات معينه ، هل هذا معناه انه تتخذ إجراءات ضدهم أو يتابعوا . . ؟**

ــ إذا كان الرأى يصحبه عمل من شأنه أن يضر بالنظام ، او بمصلحة عامة ، فيتابع الى أن يثبت هل نشاطه مجرد إبداء رأى ، فإبداء الرأى لم يكن عليه اعتراض ، بالعكس لو اطلعت على محاضر جلسات مجلس الوزراء ، ومحاضر اجتماعات مجلس الرياسه واللجان والاتحاد الاشتراكى ، ومجلس الأمة ، وهى موجودة ومسجلة ، ستجد أن نسبة كبيرة جدا من الآراء آراء معارضة وليست مؤيدة .

● **لقد كنت عضوا فى الاتحاد الاشتراكى أنوب عن المؤسسة الصحفية فى لجنة**

القسم ، وكنت أحضر اجتماعات لجنة القسم ، وكان باستمرار يغمرنى انطباع ، أن هذا اجتماع للمعارضة ، وليس اجتماعا للتأييد لأن أغلب الآراء التى تبدى فيه كانت آراء جريئة وصريحة ومعارضة ، وهذا يقودنا إلى كلام للرئيس فى أحد خطبه عن أعداء الثورة الذين يتكلمون ضدها فى النوادى ، وضرب مثلا بنادى الجزيرة . هل كانت للرياسة عيون داخل نادى الجزيرة على سبيل المثال . . ؟

ــ الرياسة لم يكن لها جهاز متخصص للمتابعة ، أو لأعمال المراقبة إطلاقا ، سكرتارية المعلومات تتلقى ، ولم يكن لها دور إيجابى فى المتابعة ، أو فى المراقبة ، وقد قلت من قبل إنه لا يوجد عندى جهاز ، وأعود لأتحدى أى واحد فى مصر كلها يقول إنه كان يعمل فى جهاز متابعة عندى فى سكرتارية الرئيس للمعلومات ، لم يحدث منذ انشاء المكتب الى ١٣ مايو سنة ١٩٧١ .

● **فى واقعة نادى الجزيرة . . على سبيل المثال . . ؟**

ــ واقعة نادى الجزيرة تقرير يرسله جهاز معنى بالمتابعة . ونادى الجزيرة كان يضم بقايا الطبقات القديمة . . و . . . و . . . وخلافه ، وهو تجمع طبقى وأنت نظام ثورى فهذا التجمع بطبيعته معاد لك ، فلابد «كأجهزة» أن تتابعه ، وأن تكون لك عيون فيه لتعرف ، ولحماية نفسك . . وهذا من واجب الأجهزة .

● **إذا جلس بعض الأشخاص ، وسبوا جمال عبد الناصر . . هل كان يصله هذا السباب؟**

ــ كان يصله طبعا حسب الأشخاص ووفقا لما ذكرناه . .

● **هل توجد نماذج . . عن انطباعاته وردوده عليها . . ؟**

ــ هناك أشياء كان يضحك لها . . فكان يقول دائما إنه يتوقع من الذين أضيروا من الثورة أن يشتموا فهذا أمر طبيعى ، ومن هنا يرمى الموضوع وراء ظهره ، لكن لو تعدى الموضوع الكلام الى الفعل ، فى هذه الحالة كان يتابع ، لإثبات ما إذا كان هناك فعل ضار . . .

● **ألاتوجد وقائع للسياسيين السابقين الذى كانوا يشتمون فى الثورة وصلت الى جمال عبد الناصر وكان له رد فعل . . ؟**

ـ كثير جدا . . جدا . . كانت هناك عناصر وفدية ، وعناصر من العائلة المالكة ، ومن فرضت عليهم الحراسات يتحدثون . . ويسبون، كان يرى هذا أمرا طبيعيا ولا أذكر أن إجراء اتخذ مع أحد من هؤلاء فى النوادى، إجراء وحيد اتخذ مع مدير لأحد النوادى لأنه من رجال النظام ويسايرهم فى نشاطهم المعادى للنظام وبالرغم من هذا فإنه لم يفصل لرأى سياسى أبداه بل فصل لتصرف أخلاقى ويمس الآداب العامة .

● ونحن نتكلم عن مجتمع النوادى، وعن هذه الطبقة . . نذكر أن كثيرا من النكت خرجت منها على الرئيس نفسه . . هل كانت النكتة فى رحلتها تصل الى الرئيس . . ؟

ـ كانت تصل الى الرئيس سواء منا نحن المعاونين أو المحيطين به ، وفى أحيان أخرى كان هو يقول لنا سمعتوا آخر نكته . . كذا . . كذا . . كذا ، وكانت له مصادره لأن عبد الناصر لم يكن أحادى المصدر فى معلوماته، . لم أكن أنا مصدر المعلومات الوحيد، ، ولم تكن الأجهزة مصدر معلوماته الوحيدة ، ولم يكن محمد حسنين هيكل هو مصدر المعلومات الوحيد، كثيرون يتصلون به، فالرئيس كانت له اتصالاته الخاصه، وأية لحظة يتصل تليفونيا بفلان، يأخذ ويعطى معه كأى مواطن عادى ، باختصار كانت له مصادره؛ وبعضها لاتعرفه، بحيث إنه كان على علم ودراية بأحدث مايدور من تعليقات ونكت عليه شخصيا أو على النظام بما فيها النكت «المكشوفة» بألفاظها التى كانت تقال بها . .

● هل كان يتخذ موقفا من أحد . . قال نكتة . . ؟

ـ لا أذكر أن أحداً اتخذ معه إجراء، إلا مدرس واحد. قال نكته فى وسط التلاميذ وكانت نكته «مكشوفة» نكتة بذيئة خارجة، وثبت أنه له تصرفات أخلاقية مشينة، وتساءل الرئيس كيف نأمن على أولادنا مع هذا المدرس بسبب فضائحه الأخلاقية التى ثبتت . .

● كيف وصلت لكم النكتة التى قالها المدرس فى الفصل . . ؟

ـ أحد أولياء الأمور كان علي صلة بواحد من الرياسة فأبلغه ، أى أن أحد الأبناء قال لأبيه «النهارده المدرس قال لنا . . كذا وكذا » فالأب أبلغ صديقاً له فى دردشة عادية، وهذا الصديق أبلغنا وأنا أبلغت الرئيس . . .

● هل كانت هذه النكت تخضع لتحليل أم أنها مسألة ضحك وتسلية فقط . . ؟

ـ بعض النكت كانت تخضع للتحليل ، فعلى مدار السنة ٣٦٥ يوم تقام حفلات استقبال فى السفارات الأجنبية وفيها يلتقى جميع السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسى، وتدور أحاديث وأحدهم أو مجموعة منهم يقولون نكته أو تعليقاً على شكل مسمعتش آخر نكته . . هنا التحليل . . من هم أفراد المجموعة . . ؟ ومن الشخص الذى أطلق هذه النكته فذلك يبين الاتجاه ، وأيضا ما تحمله النكته ذاتها من معان وأسباب خروجها وترديدها ومضمونها وكانت تجمع شهريا وفى بعض الأحيان عندما تكون كثيرة تجمع أسبوعيا، وتقوم مجموعات من خبراء علم نفس، ومن أجهزة الأمن وأساتذه الاجتماع بعمل تقرير عنها .

● من الذى يقوم بعمل مثل هذا التقرير؟

ـ الخبراء كانوا مطلعين بعملية التحليل ، أساسا مصلحة الاستعلامات كان لها دور فى هذا الموضوع .

● ألم يكن هناك شك بأن بعض هذه النكت واردة عن طريق العدو، أى أنها نكات مصنوعة؟

ـ طبعاً هناك نكت أول لما تسمعها تحس أنها ليست مصرية، فهناك فرق كبير بين النكتة المصرية وأية نكته أخرى سواء كانت عربية أو أجنبية شرقية أو غربية، النكتة المصرية بالفطرة وأنت تستطيع أن تحكم إذا كانت مستوردة أو محلية، ومعروف عن الشعب المصرى أنه يحب النكته، ويعبر عن فرحته بنكته ، وعن نقده بنكته، وعن رضاه أو عدم رضاه بنكته ، وهذه طبيعة الشعب المصرى .

● بعد هزيمة ١٩٦٧ ، فى خطاب رسمى للرئيس طالب الناس أن تكف عن النكت . . ؟

ـ لم يكن من أجل تكميم الأفواه ، فقد خرجت موجة من النكت المركزة على القوات المسلحة، أخذت بطابع معادٍ جزء كبير منها مستورد ووجدت صدى نتيجة الهزيمة، ووجه الرئيس نداء فى المؤتمر القومى العام في ٢٣ يوليو لأنه قد تحمل المسئولية وهى بالدرجة الأولى إعادة وبناء القوات المسلحة وصولا الى التحرير، ولو استمرت هذه

الموجة ستكون عملية البناء صعبة لزعزعة معنويات الجنود، إذ تنال من روح القتال، الهدف من النداء معنوى وهو أن تعاونه الجماهير في اعادة بناء القوات المسلحة برفع المعنويات للجندى، بدلا من تحطيمها أو تدميرها عن طريق النكته وتكون سلاحاً مدمراً بقدر مافيها من مرح . .

● **هل حدثت استجابة . . ؟**

ــ فعلا انحسرت الموجه، وامتنع الكثيرون عن ترديد النكات، وبالتالى انتشارها .

● **هل قامت الأجهزة بإجراء قياس لمدى الاستجابة؟**

ــ نعم حدثت دراسه وكما قلت إن كل النكت كانت خاضعة للتحليل .

● **أنا أتحدث عن النكت بعد خطاب الرئيس الذى طالب فيه الناس أن تكف عن ترديد النكات ضد القوات المسلحة؟**

ــ حصل قياس بطريقة عملية، وعن طريق التنظيم السياسى، نزلت مجموعات من الشباب، ومن النقابات المهنية، لجس النبض بالنسبة لمدى انتشار النكته، ومدى قبول وتلقي النكتة المعادية للقوات المسلحة، كانت هناك استجابة، وكان هناك تقرير يومى يرفع للرئيس حول هذا الموضوع حتى أصبحت الأمور طبيعية .

● **من الجانب الآخر . . ألم تكن الأجهزة تطلق النكت . . ؟**

ــ ليس بتوجيهات . . لم يقل الرئيس فى يوم من الأيام نزلوا نكته . . . طوال خدمتى معه لم أسمع بهذا الأمر . .

● **هناك موضوع آخر لابد من التعرض له بصراحة مثل الحديث عن النكت وهو موضوع الإشاعات؟**

ــ الإشاعة كان لها قياس، وقياسها لا يخرج كثيرا عن نطاق النكتة، نسبة كبيرة منها كان مستوردا، وقد زادت الإشاعات فى ثلاثة فترات : أزمة ٥٦ . . . والقرارات الاشتراكية . . . و٦٧، وكان القياس يؤكد أنها مستورده وكانت الاشاعات تمس أشخاصا وتصرفاتهم حتى تهدهم أمام الرأى العام، أو تمس تصرفات أقارب أو محيطين بشخصية مسئولة عامة مثلا لكى تتزعزع الثقة بينها وبين رؤسائها، أو تأخذ شكل الهزة الاقتصادية التى تمس المجتمع وتجعله غير واثق من نفسه .

وفى علم المخابرات مادة تدرس اسمها «سيكولوجية الإشاعة» وهو علم درسناه، هذا العلم يقول إن الإشاعة الغير مبنية على حقيقة لاتستمر، كلما كانت الإشاعة كاذبة يكون عمرها قصيراً لأن الأعمال التى يقوم بها النظام تنفى تلقائيا مثل هذه الإشاعة . وفى علم الإشاعات . . . أنه من الخطأ أن تنفى إشاعة كاذبة، اترك الإشاعة الكاذبة تموت وحدها فهى كاذبة ولو نفيتها فأنت تدلل على أنها موجوده .

● **لقد تعرض المرحوم صلاح نصر فى كتابه «الحرب النفسية» باستفاضة لموضوع الإشاعات؟**

ــ هو علم واسع . . وقد درسناه .

● **من الجانب الأخر ألم يكن النظام يطلق إشاعات معينه؟**

ــ قد يطلق إشاعات كنوع من «بالون الاختبار» مثلا أنت تريد رفع الأسعار فتطلق إشاعة ثم ترقب النتيجة .

● **وهل حدث ذلك؟**

ــ يحدث فى كل الأنظمة، وليس فى العالم الثالث فقط، وعلم الاشاعات واسع جدا ونحن درسناه عن الأمريكان، فهو علم أمريكى أساسا وهم الذين قاموا بتدريسه للأجهزة فى أول الثورة، فكل نظام يضطر فى بعض الظروف أن يعلن عن شىء ليرى مدى التقبل المحلى أو العالمى فإذا وجدت معارضة يتم التراجع عنه أو تأجيله .

● **هل كان يمكن إطلاق إشاعات لتلويث سمعة شخص ما . . ؟**

ــ الإشاعات التى تطلق أشاعات فى إطار مصلحة عامة وليست شخصية أو لتصفية حسابات .

● **ربما يرى البعض أن المصلحة العامه تقتضي تشويه صورة فلان الفلانى . . ؟**

ــ هذا لا يحدث أبداً . . . ففى العالم الثالث أى شخص تزول عنه السلطة ينتهى، وأنت يمكنك أن تعفيه من السلطه فلماذا تطلق إشاعة لهدف شخصى أو لتلويث السمعة . .

● وفي تلك الفترة ومازال يتردد حتى الآن من أن الناس كانت تخاف الكلام ؟

ــ هذا ما يردده الناس، ولكننى أنفى ذلك واقعيا لأن النظام عندما يكون قويا يكون إحساس المواطن أنه تحت المجهر وبالتالى تكون تصرفاته ذات طابع حذر أو لديه خشية أنه في أنه فى لحظة من اللحظات سيكون موضع سؤال ، ومن هنا ترددت هذه المقولة . . . إن الإنسان السوى لا يخشى شيئاً ولكن الإنسان الملتوى هو الذى يخشى أن يكشف فيبدأ فى ترويج مثل هذه الأقاويل. . . ولو رجعنا الى أحداث الثورة حتى رحيل جمال عبد الناصر، فكلها معلنة وكل من أراد أن يجاهر برأى قاله، وكل من أراد أن يقوم بعمل مضاد قام به ، وطالما تقوم بعمل إيجابى وبناء ، ولا يوجد به أضرار بالغير لن يعترضك أحد، أما أن تقوم بعمل ضد القانون أو ضد الشرعية ، فلابد أن تخضع للقانون وتؤاخذ .

● أنا لا أسأل عن الأعمال، أنا أتحدث فقط عن الكلام. . ؟

ــ عندما أكون تنظيما سريا فهذا مخالف للقانون بصرف النظر عما إذا كان القانون صح أم خطأ . . لكن عندما أجلس مع صديقى على القهوة وأتكلم فلا شىء . . وجميع التنظيمات السياسية التى قامت فى مصر من أول هيئة التحرير الى الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى لو نعود الى محاضرها ــ وهى موجودة ــ أغلب ما تردد في اجتماعاتها كان نقدا، ولم يكن تسليماً بما يدور كما هو، بل على العكس كانت الأمور تناقش ، ومعهد الدراسات الاشتراكيه كان فى نقده من أعنف مايمكن من الدارسين والأساتذه ، فهل حوسب شخص ما على ماقاله؟

● أنت تكلمنى عن معهد الدراسات الاشتراكية ، وقد درست فيه، وشاركت في حملة النقد، وكانت حملة النقد كبيرة داخل الاتحاد الاشتراكى ، وداخل التنظيم الطليعى، وفي مرحلة تالية سوف أسأل عن مدى الاستجابه لهذا النقد ، لكننى الآن أتكلم عن رجل الشارع الذى ليس عضوا فى هذا التنظيم، الذى يقال إنه إذا جلس اثنان على القهوة وتكلما يقبض عليهما ، هذه هى المقولة ألم تسمعها يرددها البعض. . ؟

ــ الحقيقة أنا سمعت هذا الكلام وأنا مندهش، لأنه لم يحدث أبدا أن جلس اثنان

على القهوة وتكلما أى كلام وقبض عليهما، لم يحدث أبدا، وإذا كان ذلك قد حدث كما يقول البعض فلماذا لم يذكروا الأسماء والوقائع حتى نصدقهم . .

● إن ذلك يحدث اذا تكلما ذلك فى نادى أو فى غيره. . ؟

ــ ولا في نادى أو فى غيره . . ربما كانت هناك شخصية ما لا أعنى أحدا معينا بالاسم مثلا نقيب نقابة مهنية تكلم، وقال أنا كذا وهو عضو في الاتحاد الاشتراكى وحوسب من الاتحاد الاشتراكى التنظيم الذى ينتمى إليه .

● لقد فقد وظيفته ، ودعنى أحدده ، لقد كان نقيب الأطباء .

ــ نعم كان نقيب الأطباء . . كيف يمثل النظام ثم يهاجمه . .

● هو لم يكن يمثل النظام ، ولكنه كان يمثل الأطباء فقد كان نقيبا لهم. . ؟

ــ كان فى قيادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى أيضا ، وواقعة هذا النقيب بالذات كانت مرتبطة بنشاط آخر في تلك الفترة، عندما شارك فى هذا النشاط اكتفى بأن ينحى عن منصبه، ولم يكن من أجل ما قاله فالعملية أكبر من هذا بكثير.

● كانت العملية مؤامرة مثلا؟

ــ كانت ستؤدى إلى مؤامرة إذا لم تتخذ إجراءات إجهاضها ، هناك نقطة بالنسبة لجمال عبد الناصر لا أريد إغفالها ليس دفاعا عنه وهى أحد عيوبه ، إن قلبه كان كبيرا، يقال له إن فلاناً ارتبط مع فلان وفلان وفلان فى أعمال معينة لإحداث شىء مضاد ، يقول إن العملية ستمس أسراً، وأولاداً، وبنات ، أنا أجهضها ، وتكون قاصرة على واحدا واثنين او ثلاثة، هذا النقيب كان مهنياً . أى طبيباً، لذلك ترك وظيفته، وسأقول لك مثلا آخر تذكر: في سنة من السنوات أثناء امتحانات الثانوية العامه حدث نوع من إضراب المدرسين هل اتخذ ضدهم إجراء .

● أظن أن بعض المدرسين ابعدوا؟

ــ الى أين أبعدوا ، لم يتركوا وظائفهم، تركوا فقط مواقع التصحيح في امتحانات الثانوية العامة حتى لا يتواجدوا مع آلاف المدرسين وربما نقل بعضهم إلى مواقع إدارية لأن سلوكهم لم يكن تربويا ولانقابيا .

● **لكن تظل القضية بالنسبة للجماهير . . وهى طرف ثالث . . إنهم الناس الذين كان الرئيس بيتكلم عنهم دائما ، هذا الطرف الثالث كان غائبا . .**

ـ هذه العملية أجهضت وهى فى مهدها .

● **هل ووجه هذا النقيب . . نقيب الأطباء بأنه حدث كذاوكذا؟**

ـ نعم ووجه هو والذين كانوا معه .



سامى شرف ـ عبد المحسن أبو النور ـ عبد المجيدفريد
مع مجلس الثورة السودانى سنة إبريل ١٩٧١

١١ جمال عبد الناصر

الحريات

نستأنف الحوار الذى بدأناه مع سامى شرف الحلقة السابقة حول عدد من الأمور التى تتعلق بالحريات.

ونحن في حديثنا لا ننطلق من قضايا نظرية أو فكرية ، ولكننا نتعرض لمواضيع كثر اللغط حولها . . وتعرضت كثير من المناقشات لها . . لذلك آثرنا الابتعاد عن قضية الديمقراطية بشكلها الذى طرحه عبد الناصر من ربط الديمقراطية السياسية بالديمقراطية الاجتماعية، وعدم الفصل بين رغيف الخبز وتذكرة الانتخاب على حد تعبير عبد الناصر، كما ابتعدنا أيضا عن قضية التنظيم السياسى الواحد، وهى الصيغة التى كانت الطابع لكل تنظيمات عبد الناصر السياسية . . ولجأت الي مناقشة قضايا عاشها الناس وفي وقائع محددة . . قلت للسيد سامى شرف ونحن نتحدث حول قضية الديمقراطية والحريات وحق الناس فى أن تعرف . .

نحن نلاحظ على سبيل المثال بأن مسئولا قد أبعد ، قد لا يكون النظام مطالباً دائما بأن يفسر أو يبرر لكن أن تستيقظ فتجد أن وزيرا قد أبعد، وليكن مثلا وزير الأوقاف. هذا مجرد مثل وتظل البلد تموج بالإشاعات ثم بعد ذلك قد يجيء هذا الوزير نفسه بعد خمسة سنوات أو أكثر أو أقل يعود ثم يكتب مذكرات يشرح كيف أنه كان بطلا، وأنه خرج لأنه واجه التسيب وهكذا. . هذه مسائل تبدو للناس غريبة لأنهم لم يكونوا فى الصورة، فكانوا طرفاً غائباً . .

ـــ أنا لا أستطيع أن أفسرها هكذا مثلك . . فأنا أختلف معك . .

● قد أكون شخصيا لدى صورة كاملة لماذا أبعد وزير أو أكثر وربما أكون شخصيا أيضا اطلعت على بعض التحقيقات، هذا إذا كان هذا المثل صحيحا، ولكنى لم أعرف لماذا عاد مثل هذا الوزير إلى موقع المسئولية فى الدولة بعد ذلك.

ــ إذا كان الشخص أخطأ فى يوم ما ونحى عن منصبه لفترة فلا يعنى ذلك أن ينفى من بلده ولعل الفترة التى أمضاها بعيدا عن المناصب العامة تكون كافية لإعطائه العبرة ولا يكون الإبعاد أبدياً لماذا أبعد قد لا يكون من المصلحة أن تعلن ذلك .

● **مصلحة من . . ؟**

ــ المصلحة العامة .

● **من الذى يقدر المصلحة العامة؟**

ــ صاحب القرار .

● **أنا كمواطن لماذا لا أقدر هذه المصلحة؟**

ــ هل لديك الصورة الكاملة ، كما هى عند رئيس الجمهورية؟

● **لا بالتأكيد . . لكن من حقى أن أعرف . .**

ــ من حقك أن تعرف ما يخصك كمواطن .

● **الذى يخصنى كمواطن أن ينحرف وزير أو لا ينحرف . . هذه المسألة تخص الناس جميعا .**

ــ أنا معك .

● **ليست قضية شخصية .**

ــ نعم هى ليست قضية شخصية ، وأنا لا أبرر مثلا موقف شخص معين بالذات ، أو واقعة معينة بحد ذاتها ، وإنما أتكلم بصفة عامة ، اليوم رئيس الدولة لديه الصورة ، مخروط رؤيته أوسع من رئيس الوزارة ، ورئيس الوزارة مخروط رؤيته أوسع من الوزير ، وهو يقدر ما يعلن ، ومالا يعلن مما يمس مصلحة عامة ، أو مصلحة خاصة ، وهذا من حق صاحب القرار . . لماذا مثلا النائب العام يقبض على فلان ويفرج عن فلان وربما تكون الجريمة واحدة . . . بموجب وقائع من القانون . .

رئيس الدولة حكمه هنا مثل حكم النائب العام تقريبا أو يكاد . . النائب العام من حقه أن يحفظ أية قضية فما بالك برئيس الدولة .

● **هذا حق يتعلق بالمجتمع كله . . وبحق الناس فى المعرفة . . وأن يكون لديها معلومات؟**

ــ لا تستطيع أن تقول إن المسئول الفلانى منحرف أخلاقيا ، فتفضحه أمام الناس وأمام أسرته .

● **هل أعيده إلى عمله ، فترة مثلاً؟**

ــ مسألة إعادة الإنسان بعد أن يصلح حاله ، أمر طبيعى ، فإذا كان ربنا الخالق سبحانه وتعالى غفوراً رحيما طيب أنت يابشر ماذا تكون ، عندما أخطأ أبعدته وعندما انصلح حاله هل تظل على موقفك منه .

● **هل هذا عمل سياسى؟**

ــ سيد مرعى مثلاً كان عضواً بمجلس نواب أيام الملك وأيام الثورة وهذا عمل سياسى .

● **وهذا أحد الأخطاء . . ولابد أن نعترف . . ؟**

ــ ماهى العناصر التى بنى عليها أنه أحد الأخطاء؟

● **فى حالة سيد مرعى . . ليس معقولا أن أستعين بإقطاعى يشرف على تنفيذ قانون ثورى لتصفية الإقطاع ، لا يمكن ، حتى قلبه لا يكون معى . .**

ــ لكنه نفذ أم أنه لم ينفذ . ولقد كان جمال عبد الناصر يقيده ، رجل فنى ومن أهل الخبرة كما أنه لم يكن صاحب القرار .

● **نفذ ولكن لا قلب**

ــ ليس لى علاقة بقلبه

● **وضحت كثير من الثغرات فى تنفيذه ، حتى أنه قبل وفاة الرئيس فى اجتماع اللجنة المركزية فوجئنا بأنه يعيد بعض الأرض لعدد من الإقطاعيين ، وأمر الرئيس بتشكيل لجنة من أعضاء اللجنة المركزية بعد مناقشة المشكلة مناقشة واسعة وكانت مهمة اللجنة دراسة الموضوع .**

● هل ثبتت هذه الوقائع ؟

● طبعا .

● بعد سنة ١٩٧١ .

● لا قبل سنة ٧١ ، فى سنة ٦٩ فى اجتماع اللجنة المركزية، عندما أعاد أرضاً للإقطاعيين، وجمال عبد الناصر قال بضرورة إجراء تحقيق . . ثم فى ٦٥ ، ٦٦ لجنة تصفية الإقطاع، كانت نتيجة تهريب أرض من الإصلاح الزراعى، وثغرات فى تطبيق قانون الاصلاح الزراعى، لابد أن أعترف أنه كانت هناك من الأخطاء ماسمح بتسلل عناصر معادية للثورة، وذلك هو الذى أدى فيما بعد إلى سهولة الانقلاب على الثورة، هؤلاء هم كانوا أول من انقلبوا على الثورة، أو كانوا أدوات الانقلاب . . . وهذه وجهة نظرى على كل حال .

ــ أنا يمكن أوافقك على جزء منها، وأختلف معك فى جزء آخر، لكن الذى أحب أقوله لك إن سيد مرعى اختير فى هذا المكان لكونه فلاحاً قبل أى شىء، وثانيا لأنه من أهل الخبرة . . . وهذا عمل سياسى، ولقد احترنا . . عندما نستعين بأهل الخبرة لا ترضون، وتهاجمون الاستعانة بأهل الثقة مع أنهم كانوا خبراء أيضا . .

● هل عجزت الثورة عن أن تجد الشخصية الثورية . . ؟

ــ لم تعجز . . عبد المحسن أبو النور مثلا تكفل بهذا العمل مرحلة طويلة بعده، أى لم تعجز الثورة، كما أنها لم تقتصر فى التنفيذ على سيد مرعى . فقط ولقد تولى وزارة الزراعة عبد الرازق صدقى وأحمد المروقى وبكر أحمد وغيرهم ولم تقتصر العملية على سيد مرعى وحده .

ــ على أى حال فقد تفرعنا إلى بعض الموضوعات التى أبعدتنا عن القضية الجوهرية وهى الديمقراطية. لأن كل هذا الحوار يصب فى قضية الديمقراطية ومدى حرية المواطن وحقه فى المعرفة . . وأنا أستطيع أن أستوعب مفهوم الديمقراطية فى ظل النظام الذى كان قائما، وأن أى تقييم لتجربة الديمقراطية يجب أن تنطلق من نوعية النظام، وهى ربط الديمقراطية السياسية بالديمقراطية الاجتماعية أو ماعبر عنه جمال عبد

الناصر بربط تذكرة الانتخاب برغيف الخبز، وذلك منذ صدور القوانين الاشتراكية، وهى ما اعتبره الفترة الناصرية الحقيقية .

● لكن مفهوم الديمقراطية ليس حرية التعبير، وليس حرية النقد الذى كنا نمارسة داخل لجان الاتحاد الاشتراكى، مفهوم الديمقراطية ينطلق إلى أبعد من ذلك بأن يكون هناك رأى آخر منظم، وأن تكون هناك مشاركة فى اتخاذ القرار وفى صنعه . .

ــ منذ بداية ٥٦ تستطيع أن تقول إنه كانت هناك خطوات لمشاركة الجماهير ــ بتطبيق الأبعاد الاجتماعية لحرية المواطن بمعنى توسيع التعليم ثم مجانيته الكاملة، ومجانية العلاج، وحق الانتخاب للمرأة، وتخفيض سن الإدلاء بالصوت الى ١٨ سنة، هذه عناصر جوهرية حكمت تجربة عبد الناصر، بدأت منذ ٥٦ فى جانبها الاجتماعى، الذى يتمشى مع فلسفته، فى حرية التعبير وربطها بالبعد الاجتماعى، وهو ما تبلور نهائيا فى سنة ٦١ حيث انتقل الى خطوة متقدمة أكثر، وهى العمل على منع الاستغلال وغير ذلك وقال إن الطريق أمامى طويل لن ينتهى إلا عند القضاء على استغلال الإنسان للإنسان، ومن هنا بدأ جمال عبد الناصر يفكر فى إبراز الرأى الآخر فى إطار تحالف قوى الشعب العاملة، ونص الميثاق على إنشاء التنظيم الطليعى وكانت فكرته أن تكون النواة الأولى للحزب الاشتراكى تمهيد للفكر الذى تطور بعد ٦٧ الى ما أعلنه عبد الناصر من ضرورة قيام حزبين أو ثلاثة أحزاب سياسية، وهذا ما كتبه جمال عبد الناصر بخط يده فى ملفه الشخصى وما ناقشه مع المسئولين معه، وكان يرى مع عام ١٩٧٥ أن تقوم فى مصر تعددية حزبية . ولقد كان بيان ٣٠ مارس هو المقدمة الطبيعية لهذا التطور فى المستقبل .

● لماذا فى سنة ٧٥ بالذات ؟

ــ فى تقديره لم نكن نستطيع أن نمارس المجتمع المفتوح بمعنى الكلمة إلا بعد إزالة آثار العدوان وتحرير الارض العربية المحتلة كلها وإعادة البناء، وأى منصف يرى أنه لابد أن نعطى الأولوية من واحد الى مائة لإعادة بناء القوات المسلحة وتحرير الأرض، ثم نأتى الى مرحلة جديدة من تنظيم الداخل .

● هذا فيما بعد ١٩٦٧ ، ولكن الحديث يشمل أيضا ما قبلها؟

— قبل سنة ٦٧ كنا نمر بظروف التوازن كان فيها مختلاً فى المجتمع المصرى، بمعنى أن المؤسسة العسكرية كان دورها فى الداخل أكبر من حجمها الذى كان المفروض أن تكون عليه، وبذلت محاولات لخلق هذا التوازن وحدث تفكير فى الاتحاد الاشتراكى، وإعادة بنائه ومن خلاله يقوم الحزب ، وعندما يقوم الحزب يحدث نوع من التوازن مع المؤسسة العسكرية، الكلام الآن سهل جدا، ولكنه فى أيامها كان التطبيق والتنفيذ وعملية البناء تأخذ كثيرا من الوقت لأن لها طابعاً حساساً جدا، خصوصا بالنسبة لدول العالم الثالث لإحداث مثل هذا التوازن السياسى . ولكن لكى نكون منصفين فإنه بالرغم من هذا التقييم فإن المؤسسة العسكرية لم تكن أقوى من جمال عبد الناصر ولم تستطع أن تؤثر على قراراته فى خطه العام ومسيرته الرئيسية لأنها كانت تعلم أنه قوى بفكره وتأثيره على الجماهير، اما انهم حافظوا على كيانهم لأشخاص معينين فهذا صحيح .

إن الظروف التى مرت بها مصر من سنة ٦١ الى ٦٧ غير طبيعية . . الانفصال، اليمن، القوانين الاشتراكية الثانية، مشاكل التنمية، الحصار الاقتصادى، مؤامرة الإخوان الثانية سنة ٦٥، لجنة تصفية الإقطاع، حرب ١٩٦٧، هناك إذن معوقات ضخمة حالت دون أن نطبق مانسعى إليه، ونتمناه، لاأحد كان ضده والذى تشهد بذلك محاضر المناقشات الواسعة جدا فى مجلس الرياسة حول المجتمع المفتوح بطريقة بنائه وتوقيتاته والدراسات العميقة التى تمت فى مجلس الرياسة ومجلس الوزراء . . لكنى أكلمك من موقع عملى . . وقد كنت فى المطبخ «اللى إيده فى النار غير اللى إيده فى الميه» . . أنت مثلا يمكن تضع توقيتات معينة . . أنه فى شهر كذا سنة كذا ستعلن كذا وقبل الموعد بخمسة عشرة يوم مثلا تظهر مشكلة من تحت الأرض لم تكن فى الحسبان تأخذ جهدك وتلغى البرنامج وتضطر الى تأجيله وفق أولويات تفرض نفسها على المسرح السياسى .

بعد ماحدث سنة ١٩٦٧ الأولوية الأولى كانت لإعادة بناء القوات المسلحة فهل نسير فى التنمية أيضا . .

وتمت مناقشات طويلة وعميقة حول هذا الموضوع، وبعض الوزراء طالبوا حتى بإغلاق دور السينما ورد الرئيس عليهم بأن لندن عندما كانت تضرب كل ٢٤ ساعة بالقنابل الالمانية هل أغلقوا دور السينما؟ . وحدثت مناقشات فى إعادة بناء القوات المسلحة والتنمية واستقر الرأى على استمرار التنمية .

● هل نعتبر أن المؤسسة العسكرية — ولانريد أن ندخل فى تفصيلاتها الأن لأننا ستتعرض لها بشكل أوسع فيما بعد — كانت تقيد الحركة، هل كانت تقاوم الديمقراطية . بطبيعتها . . ؟

— نعم كانت تقيد الحركة لأنها لم تكن مسيسة ، فمن الصعب أن تقبل الديمقراطية لأن العسكرى بطبيعته يأمر فيطاع .

● عندما نتحدث عن المؤسسة العسكرية نتحدث عن قيادات هذه المؤسسة، ولا أستطيع أن أقول ان قيادات المؤسسة ، العسكرية ، وبعضهم من كبار ضباط الثورة سواء من الصف الأول أو الثانى أو الثالث ، لم يكونوا سياسيين . هذا الكلام يكون ظالما من وجهة نظرى؟

— انا أقول ان المؤسسة العسكرية بصفة عامة لم تكن مسيسة بمعنى أن القيادة المساندة لعبد الحكيم عامر كانت بعيدة عن السياسة، ولها مطالب أو احتياجات وتطلعات هذه التطلعات لاتتمشى مع التوجهات السياسية العامة لكنها كما سبق أن قلت لم تستطع أن تؤثر على قرارات عبد الناصر ، ربما تكون قد تجاوزت سلطاتها فى الحفاظ على مكاسب معينة .

● كانت تقاوم أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية؟

— هناك أكثر من قصة لذلك . . مثلاً حاولنا ندخل مثلا طلابا من منظمة الشباب الكلية كما حدث فى وزارة الخارجية ومؤسسات أخرى لكن عبد الحكيم عامر رفض .

● لماذا؟

— كانت الحجة أمنية ، وعلى أساس ادعاء الحفاظ على وحدة القوات المسلحة، أو تسلل عناصر لها انتماءات غير معروفة اليها . . وقد تصادف أن طرح هذا الموضوع فى

أعقاب مؤامرة ١٩٦٥ للإخوان المسلمين فرؤى تأجيل البت فيه والموافقة على رأى عبد الحكيم عامر.

● كان ذلك فى محاولة تسييس القوات المسلحة . . ؟

ــ نعم . . ولذلك كان العكس تماما بعد ١٩٦٧ ، فقد مورست سياسة جديدة فى القوات المسلحة بأن دخلها الجندى المتعلم، الذى اختصر مدة التدريب لاستيعابه السريع، واستطاع التعامل مع المعدات والأجهزة الحديثة بخسائر قليلة وأيضا تلقى الفكر السياسى وعمل وفقا لهذا المنظور.

● لا أريد أن تبدو حواراتنا فى شكل أننا نبرر ماحدث .

ــ أنا لا أبرر، أنا فقط أفسر ماحدث .

● نحن نتكلم عن قضية مشاركة الجماهير فى الحكم . . ومشاركة الجماهير بإبداء الرأى . . ؟

ــ هل الجماهير حتى غير المصرية ، أى الجماهر العربية ، لم تشارك الحكم فى مصر . هناك أكثر من دليل . . بداية من سنة ٥٢ بعد أزمة مارس لم يكن للثورة أنياب ولا أجهزة ولا وسائل أمن ولا أعلام وقامت الجماهير ، الجزء الاكبر منها ، وساندت بقاء الثورة واستمرارها . .

●هل هذه الجماهير شاركت؟

ــ أنا أعتبر هذا نوعا من المشاركة . . المثل الآخر ٩ , ١٠ يوليو، والمثل الثالث ٢٨ سبتمبر. . . . عبد الناصركان يخيف الناس، كان مكمم الأفواه . . كان كل من يتكلم على قهوة يخرب بيته ، كما يقولون ، عندما مات الراجل خرج مليون يبكونه بالدم . . بعد أن مات ماذا يخيفهم؟ لقد كانت هذه مشاركة .

● جزء من هذه الأحداث مشاركة وثقة فى عبد الناصر، جزء أيضا عاطفى ، وأسأل أيضا أين كانت مظاهر الرفض . . ؟

ــ كانت موجودة ٦٨ ، ٦٩ فى صورة مظاهرات اعترضت على بعض الأمور.

● سنة ٦٨ وسنة ٦٩ ، فى ظل أزمة وضعف النظام بعد الهزيمة قامت المظاهرات؟

ــ أختلف معك، أعود لحديثك عندما قلت إن هناك أشخاصاً مخلصين يحبون النظام ينقدونه، لأنهم يريدون أن يصحح نفسه من الداخل وتقويم نفسه . . هذا تحليلى الشخصى لما حدث فى سنة ٦٨ ، ٦٩ فقد جلست مع شباب كثيرين من هؤلاء بعد انتهاء المظاهرات وتكلمنا، عبروا كلهم سواء كانوا من قيادات المظاهرات أو انساقوا معهم بعضهم قال إنه لم يكن لتتاح له فرصة التعليم والوصول الى ماوصل إليه لولا ثورة ٢٣ يوليو وقالوا إنهم يحافظون على الثورة لذلك يقولون لها لا . . حتى تسير فى الطريق الصحيح، ومن هنا كانت استجابة جمال عبد الناصر لهذه المظاهرات وأصدر بيان ٣٠ مارس .

● نحن تقريبا غير متفقين . . . بمعنى ؟ . . أنا لا أختلف على أن مجموعة الشباب حتى العمال كان لهم موقف وطنى فى مظاهرات ٦٨ ، ولا اختلف على أن هؤلاء هم أبناء الثورة الذين عملتهم وربما يكونون أعضاء من منظمة الشباب ومن تنظيمات الثورة، هؤلاء خرجوا يقولون لا . . ورافضين الأحكام الهزيلة التى صدرت ضد المسئولين عن الهزيمة العسكرية وخاصة قادة سلاح الطيران . . إلخ . . لكنى أقول إن هذا الخروج نفسه ــ بصرف النظر عن دوافعه ومن الذى قام به ــ كان فى ظرف الثورة فيه فى منحنى . . . بمعنى أن النظام نفسه كان ضعيفا وجريحاً نتيجة الهزيمة العسكرية . . .

ــ لكن القائد موجود . . الذى كان رمز النظام . .

● لانستطيع أن نعتبر أن خروج مظاهرات تؤيد أى رئيس أو أى زعيم هو رمز الديمقراطية . .

ــ ولا الذى يعارض هو الذى يعطينى مؤشرا . .

● أنا أقول إن أحداث ٥٤، وأحداث ٩ , ١٠ يونيه . . الخ . . مع تقديرنا إلى دوافع الجماهير وهذه المظاهرات تلقائية تعكس حب الجماهير لجمال عبد الناصر وأن الناس يثقون فى جمال عبد الناصر، ومازالت حتى اليوم تحلم بجمال عبد الناصر ، هذه حقائق لا مجال لإنكارها . . لكن هل نعتبر أن الناس لأنها خرجت . . هذه هى الديمقراطية . . أو أن ذلك بديل عن الديمقراطية، أنا أعتقد أن الإجابة هى لا؟

ــ نعود لاستكمال الجملة . . هل كان المطلوب فى مصر الديمقراطية الليبرالية

الغربية . . هذا سؤال، إن السوفييت كانوا يقولون إن عندهم ديمقراطية . . فى ظل النظام الشيوعى ماهى صورة الديمقراطية التى تسير معنا وتلائمنا . .

● **لنحدد الديمقراطية التى أقصدها بأنها المشاركة فى اتخاذ القرار . . ؟**

ـ المشاركة فى اتخاذ القرار . هل لم يفكر الرجل فى هذا، أقول إن ذلك كان موجوداً ولكنه فكر فى توسيع نطاقه إلى أبعد مدى .

● **فكر ولم ينفذ . .**

ـ لا . . . فكر . . وحاول التنفيذ . . دخلنا فى المعوقات التى حالت دون تمكينه من التنفيذ .

● **هل تعتبر أنه كانت هناك ديمقراطية فى تلك الفترة . . ؟**

ـ الديمقراطية كلمة مطاطة جدا . . بالنسبة للديمقراطية المفروض أن تطبق فى مصر ذات المضمون الاجتماعى وفقاً لرؤية عبد الناصر .

● **هل الرأى الآخر كان واضحا وصريحا وقويا ومعبرا عن الناس . . ؟**

ـ نعم . . الصحافة كانت تتكلم، وكان يضرب المثل بروز اليوسف فى تلك الفترة لأنها كانت المنبر الجرىء الذى لم يسكت عن المعارضة، التيارات السياسية الأخرى كان صوتها طالع، فالإخوان المسلمين كانوا مضروبين وفى السجن، وكانت لهم كتب ومنشورات ونشاط فردى ولجان تجمع تبرعات . . النقابات المهنية كانت فيها تيارات متعددة مابين وفد وشيوعيين وإخوان مسلمين، وغيرها، وكان الجميع يبدون رأيهم ونعود لمحاضر اجتماعات هذه النقابات المهنية لنرى ماقيل فى هذه المرحلة .

● **هل أدى كل هذا الذى قيل إلى أى نوع من التغيير . . ؟**

ـ أقول إن الرغبة فى التغيير كانت موجودة، إنما القدرة على إحداث هذا التغيير تحتاج لظروف معينة ومعايير معينة وتوقيتات معينة، ومع ذلك فقد أدى الى تغييرات كثيرة ولم يصدر شىء بالنسبة لفئة ما إلا إذا وافقت عليه، وإذا ما اعترضت عليه لا يصدر . .

● **أنا لا أستطيع أن أخرج إلى الناس وأقول لهم إن جمال عبد الناصر ـ هذا العملاق ـ كان يريد التغيير الكامل لكنه كان غير قادر . . ؟**

ـ هل كانت عند عبد الناصر أزرار يضغط عليها فيحدث التغيير . .

● **لا . . كانت لديه رؤية . . وكان قادرا على تنفيذ هذه الرؤية وكانت كل الجماهير معه . .**

ـ عبر عبد الناصر عن رؤيته وأحدث فعلاً تغييرات بناء على مطالب الجماهير، واستجاب لطلب النقابات والهيئات وما أتحدث عنه هو التنفيذ الكامل لكل ما كان يريده . . لكنه لم ينفذه كله . .

● ولماذا لم ينفذ؟

ـ لأنه كانت توجد معوقات أكبر بكثير جدا من ان ينفذ هذا التغيير الكامل فى تلك الظروف . . أنا أحدثك من واقع عملى نظريا يمكن أتكلم من هنا حتى السنة القادمة فى نظريات ومثاليات وجمهورية أفلاطون وخلافه ، فالكلام سهل لكن تعالى الى العمل تجد العملية صعبة جدا جدا . . انا لا اصعب الموضوع . . سأعطيك المثل الذى يحضرنى : فى نهاية سنة ٦٧ بداية سنة ٦٨ بدأنا نقوم بعمليات عسكرية وفدائية داخل الارض المحتلة ، تعبر قناة السويس بفصيلة عسكرية ثم سرية ، وبعد ذلك كتيبة ، فى صمت لو كانت لديك أحزاب فى تلك الفترة فإنها سوف تزايد وتكشف الأمر.

● لاتضعنى فى مأزق . .

ـ ليس هذا مأزقا . . . . أنا أتكلم حول واقع . .

● **بالعكس صحيح فالمجتمع وبيان ٣٠ مارس، بدأ بعد سنة ٦٧ . . ولكننى أتحدث عما قبل ٦٧ . .**

ـ قبل سنة ٦٧ . . هل وصلت التنمية الى درجة أن تحرر رغيف الخبز . . كانت ستقام أحزاب، وحدثت مناقشات فى هذا الموضوع فى مجلس الأمة فى ٥٦ ، ومناقشات فى مجلس الوزراء حول نفس الموضوع ، كان الرأى الغالب أنه طالما أنك لم تحرر رغيف الخبز، فلن تتحرر التذكرة الانتخابية للمواطن . . فإن الرأى سيكون فى اغلب الأحيان

ممل على المواطن بما يريده الآخرون . . بمعنى أنه عندما تقوم تعددية حزبية ، أو حزبان سيكون حزب ممول من الشرق وحزب ممول من الغرب ، وأنت يامصرى ياوطنى ياعربى ياقومى تضيع ، كانت هذه حصيلة المناقشات التى دارت فى تلك المرحلة المبكرة عامى ٥٦ و ٥٧ ، . كانت هناك فكرة أنه طالما أن التنمية لم تصل الى الدرجة التي تستطيع بها أن تقول للغير نعم على ماتريد ، وتقول لا على مالاتريد ، لن تستطيع أن تقيم تعددية حزبية سليمة . . ذلك كان هو الرأى فى تلك الفترة ، أيا كان حكمك عليه . .

● **هذا يطرح قضية الصحافة كأداة رئيسية من أدوات التعبير . . فقد نظمنا الصحافة . . أو فى بعض الأقوال أممنا الصحافة ، لم نترك فرصة لصحيفة خاصة بل كل الصحف تعبر عن اتجاه واحد . .**

ـ إن هذا أيضا يرتبط بطبيعة المرحلة ، وبطبيعة وجود تنظيم سياسى واحد ، وليس حزباً واحداً . والتنظيم السياسى الواحد يضم جميع فئات الشعب ، ويعبر عنها ، وبالتالى فواجب الصحافة هو التعبير عن كل الفئات أى كل الشعب ، ومع ذلك فلو أنك تركت صحافة خاصة قوية فى ذلك الوقت كنت ستجد نفسك مثل «ماكسويل» ، هذا ماكان سيحدث ، أريد أن أسأل وأنت أقدر منى على الإجابة ـ ماهى حكاية ليلة القدر هذه التى كانت ومازال ينشرها البعض ، لقد كنت ستجد كل جريدة عندها ليلة مش عارف إيه من جهة ما . . هل هناك مواطن مصرى أو مواطنة مصرية يتبرع بمليون دولار . . ولاتقول اسمها حتى نذهب لنشكرها . . العيادة الشاملة وقوافل الإعلام والدعاية . . من أين . . ومن الذى يمولها . . ؟ ـ كنت ستجد مصر «بوتيك» . . مالم نحرر الإنسان المصرى تحريرا كاملا مهما طال الزمن . .

● **لانريد أيضا أن نأخذ موقف المبرر لما حدث فلا شك أنها تجربة إنسانية ، وكل تجربة إنسانية معرضة للصواب ومعرضة للخطأ .**

ـ أنا أروى لك ماحدث . . حتى التفكير أو المناقشات أو الحوار الذى دار حول القضية التى طرحتها وأنا لا أقوم أبداً بالتبرير . فقط أقوم برصد الواقع الذى أنا شاهد عليه .

● **نعود إلى قضية أثيرت وهى إبعاد عدد من الصحفيين ونقلهم إلى وظائف غير**

صحفية ورغم أن ذلك قد حدث فى فترة السادات على نطاق واسع جداً ، ولم يكتف بإبعادهم ـ وكنت واحداً منهم فأبعدت مرتين عن العمل الصحفى ومنعت لفترات طويلة من الكتابة ، ولقد اعتقل أيضا عدد كبير من الصحفيين ، كل ذلك فى ظل حديث السادات عن الديمقراطية ، أبعد أكثر من مائتى صحفى ، وإنما يتحدثون عن مذبحة الصحفيين بنقل ٣٠ صحفيا من جريدة الجمهورية فى ظل مايقولون عليه الديكتاتورية . . فهل نتحدث عما حدث للصحفيين فى عهد عبد الناصر من نقل ، ولانريد أن نتحدث عن مذابح الصحفيين بالجملة على زمن السادات لانك كنت فى السجن؟

ـ كان الدكتور عبد القادر حاتم على وجه التحديد وراء هذه العملية . . وهو كمسئول عن قطاع الإعلام ، و فكر تفكيرا أمنيا وساعده على هذا العمل أن مؤسسة دار التحرير التى تصدر الجمهورية بالذات كانت تمر بأزمة مالية وبصعوبات ضخمة جدا سواء ادارية أو لوجود تيارات متصارعة فى داخلها .

● انا أوافق على هذا التفسير لأن عندى فيه معلومات ، هذا عن المسألة الجماعية ، ولكن ماذا عن الأفراد الصحفيين الذين منعوا من الكتابة أو نقلوا من صحفهم . .

ـ انت كمسئول أو كرئيس دولة لاتتخذ إجراء مع إنسان لأن شكله لايعجبك ، وإلا كانت العملية مزاجية ولايكون هذا جمال عبد الناصر القائد الزعيم ، هذا تقليل منه جداً لو فكر بهذا الأسلوب ، لكن اذا كانت هناك حالات فردية اتخذت إزاءها إجراءات من منع من الكتابة أو إبعاد أو نقل لجهة ما فهذه حالات فردية ولابد من سبب . وكل مواقف لها أسبابها ولم تكن نتيجة مزاج شخصى . .

● لم يقل أحد إنها مزاج شخصي . . ولكنهم قالوا إنهم عوقبوا بسبب ماكتبوه وبسبب الرأى الآخر .

ـ أنت ككاتب وصحفى ستفهم أكثر ما أريد قوله . . يمكن أن تكتب مقالة تؤيد اتجاها ما وأنت تعمل على هدمه ، عندما يخرج مانشيت فى جريدة مفروض أنها داخلة فى تنظيم الصحافة تقول موت او اغتيال مش عارف مين وتحتها صورة لجمال عبد الناصر فى زيارته للهند . .

● السفاح . .

ــ أنت عندك خلفية ومعلومات كثيرة ماذا وراء هذا المانشيت وقصته . وماذا تفعل ؟

● لانتكلم فى المطلق إنما نتكلم عن وقائع . . ؟

ــ أنت تتحدث عن أخطاء . .

● نحن نتكلم حول هذه الأخطاء بالوقائع المحددة مثلا أنيس منصور يقول إنه أبعد لأنه كتب مقالا عن الصوفى «العزبن عبد السلام» وموسى صبرى أبعد لأنه كتب مقالا ضد همت مصطفى ، ومفيد فوزى يقول إنه أبعد وهو لايعرف لماذا . . ؟ ، مصطفى محمود منع من الكتابة لانه كتب مقالا على مايقول حول محاكمة النازى ، هذه هى وقائع الأبعاد المحددة ولا أذكر أسماء أخرى ، لكن هؤلاء بما لهم من نفوذ وسطوة إعلامية فيما بعد استطاعوا أن يقيموا الدنيا وكأنها قضية أساسية ، وهى طبعاً قضية فيها يتعلق بالديمقراطية وحرية التعبير عندما يكتب صحفى مقالا ويفصل ، ــ صحيح أننى شخصيا فصلت ومنعت من الكتابة سنوات فى ظل مجتمع صدعنا بالحديث عن الديمقراطية وحرية الصحافة كما قلت ، ولكن ذلك يحتاج الى تفسير منك . .

ــ مرة أخرى؟ . موضوع موسى صبرى مثبت فى أوراق رسمية ، وعبد القادر حاتم قدم اقتراحا بفصله ، فالرئيس حتى لم يوافق على الفصل اكتفى بشىء أقل . . موضوع مصطفى محمود لم يكن مفهوماً ماذا يريد بالضبط ؟ شيوعى . . ملحد . . إخوانى . . أم ماذا . . لا أحد يعرف . . ولقد كتب مقالا عن محاكمات نورمبرج عرض فيه بالنظام وأذكر أن إحسان عبد القدوس كتب رسالة لجمال عبد الناصر يدافع فيها عن نفسه وعن مصطفى محمود ولقد ناقش الرئيس هذه الرسالة مع إحسان الذى برر السماح لمصطفى محمود بالكتابة فى موضوعات تدعو للإلحاد بأنه يسمح لجميع الآراء بممارسة حقها فى الكتابة فوافقه عبد الناصر ولكنه أقنع إحسان بعدم الموافقة أو السماح للترويج للإلحاد .

● هل أنا أحاسبه على عقائده . . ؟

ــ لا هو حر يعتنق مايريد أن يعتنقه ، لكن اذا كتب شخص ليوحى بأشياء معينة ، وينشر الإلحاد لا نعطيه منبرا يخاطب من خلاله الناس ، اذا لم يكن ملتزما من الناحية الأخلاقية على الأقل ، وأيضا من ناحية شرف المهنة لايوجد له مكان ، بالرغم من ذلك

لم ينقطع عيشهم . بمعنى آخر هناك فرق بين قطع الرزق وبين أن أضعه فى مجال آخر لا يخاطب فيه الجماهير ولايؤثر عليها أو تمنعه من الكتابة وتصرف له مرتبه . .

● هم يقولون إنهم فصلوا من أعمالهم ، ولم يكونوا يحصلون على أية نقود ؟

ــ الأوراق موجودة بالصحف التى كانوا يعملون فيها ، وتثبت أنه لم يقطع أرزاقهم . . مفيد فوزى ــ جاء لي وقابلنى من سنتين تقريبا . . وسألنى نفس السؤال الذى طرحته الآن ، قال أنا مش عارف ليه أنا اتشالت . . ؟ وأنا قلت له أنا كمان مش عارف . . ربما كنا جادين أزيد من اللازم . . موضوع أنيس منصور . . لم ينقطع عمله بالجامعة الأمريكية ولا أحد قطع رزقه . . أنيس منصور حصل كلام معه بدل المرة عشرة من أيام كان يكتب عن الفنجان والسلة وغير السلة ثم دخلنا فى الوجودية ثم كذا وأشياء كثيرة ، حدث كلام معه ليكون جاداً وايجابياً أكثر من مرة لكن لم يقطع رزقه وأعتقد أن من حق النظام أن يحاسب حسابا أخلاقيا ومن أجل الأخلاق . . ما أريد أن أؤكده أن أحدا لم يقطع رزقه نتيجة رأى أبداه ، لقد عرض فيلم سينمائى عن قصة لثروت أباظة هو شىء من الخوف وكله هجوم ، ومع أن ثروت فى ذلك الوقت تبرأ منه إلا أنه لم يحاسبه أحد ، وكان ثروت كما تعلم مغموراً وليس كاتباً ولا يحزنون .

● فى هذا الجانب لابد أن نطرح قضية الانتخابات ومايتردد حول تزوير الانتخابات . . ؟

ــ ماذا تعنى بالتزوير . . ؟

● أولا منع غير أعضاء الاتحاد الاشتراكى أو أعضاء الاتحاد القومى أن يرشحوا أنفسهم . . ؟

ــ كان هذا فى مرحلة سابقة .

● ثم مايقال حول تزوير الانتخابات لأشخاص معينين . . ليكونوا أعضاء فى مجلس الأمة؟

ــ لايوجد تزوير ومن لديه تزوير يثبته ، يقول إنه فى هذا المكان حدث تزوير وهذه هى العلامات . . لم يحصل لا النائب العام قال إن هناك تزويراً ، ولا قاضى من رؤساء

اللجان الانتخابية تحدث عن تزوير ولاتقرير من الأجهزة تحدث عن ذلك، إنه كلام على علاته أطلق فى مرحلة ما حول الانتخابات، وفى اعتقادى أن الغرض كان تشويه الصورة . . ثم إذا افترضنا جدلا أن هناك تزويراً لمصلحة من يتم ؟ وقد كنا ومازلنا رجال عبد الناصر.

● إذا لم يكن هناك تزوير . . فهل كانت هناك معارضة داخل مجلس الأمة . . ؟

ـ كانت هناك معارضة، وجلسات المجلس كلها مسجلة وموجودة ولها محاضر، أبلغ دليل على وجود المعارضة الذى أذكره الآن . . عندما تحدث علوى حافظ وهاجم على صبرى والاتحاد الاشتراكى فى مجلس الأمة، وقد نشرت كل الصحف هذا الهجوم .

● أبعد علوى حافظ بعد ذلك عن مجلس الأمة؟

ـ هل أبعد علوى حافظ . .

● قيل إنه فصل من مجلس الأمة .

ـ من الذى فصله؟ . . وكيف؟ . . ومتى؟ . . ففى أيامنا لم يفصل واحد من مجلس الأمة . . الفصل من المجلس حدث بعد ذلك فى عهد السادات . .

● أنا أذكر فى هذا الأمر مقولة لجمال عبد الناصر فى اجتماع الهيئة البرلمانية أى جميع أعضاء مجلس الأمة وقد كنت حاضرا تلك الجلسة - قال لهم أنا شايف أنكم ٣٦٠ حزباً وليس ٣٦٠ عضوا . . كل واحد منكم حزب لوحده . . لكن مايقال عن التزوير شقان : أولا أن الانتخابات زورت ، حتى انتخابات اللجنة التنفيذيه العليا ، وانتخابات الاتحاد الاشتراكى إلى حد أن جمال عبد الناصر نفسه كان يريد إحداث تغيير بهدف القضاءعلى هذا التزوير قبل أن يتوفى ، وأنه كتب كل ذلك فى الأجندة الخاصة وهذا ما أعلنه السادات فيما بعد .

- لم يحدث ذلك . .

● بمعنى ماذا أنه لم يحدث . . ؟

- لم يحدث لا تزوير ولا أن الرئيس جمال عبد الناصر كتب فى أوراقه أن هناك تزويراً . .

● ربما كتب . . فنحن لانعرف ما إذا كان كتب أو لم يكتب . .

- أنا أعرف . . أنا أعرف أنه لم يكتب .

● إذا كنت أنت أحد الناس المتهمين بالتزوير كيف تعرف . . ؟

- أنا متهم بالتزوير . . زورت لحساب من؟ . . أنا عندما أزور يكون ذلك لحساب شخص أو جهة محددة؟ أنا عندما أزور كسامى شرف المفروض أن ازور لحساب من؟

● أنت وشعراوى جمعة متهمان .

- لو أننا نزور يكون ذلك لحساب من . . ؟ طبعا لحساب جمال عبد الناصر ، هل كان جمال عبد الناصر محتاجا لتزوير . . ؟سؤال أظن أنه لا يحتاج لإجابة . . ؟ أنا ظل ، وعين ، وأذن الراجل . . علاقتى به لصيقة . . . إخلاص ووفاء وحب واحترام وتقدير لا يوصف . . أزور لحساب من ؟ كيف يحدث هذا ؟

● عندما طرحت هذه المقولة قيل إن التزوير تم فى انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى لكى يكون أنور السادات الرابع فى الأصوات . . وأن يكون الأول هو على صبرى .

- لم يكن وارداً إطلاقا أى تخطيط مسبق لانتخابات اللجنة التنفيذية العليا . . بل إن جمال عبد الناصر قال إن كل واحد لازم يأخذ مسئوليته وأنه لا يستطيع أن يزكى أحدا إلا من عمل معه لمدة طويله وأنه يفضل الانتخاب لسببين : الأول يتعلق بالناحية النفسية للجماهير ، وهى طرف، والثانى هناك ثورة مضاده تتصيد كل شيءحتى ولو بحسن نيه .

واستطلع رأى أمناء المحافظات فى القصر الجمهورى بالقبة كل منهم على انفراد وبحضور شعراوى جمعه والجلسات مسجلة .

ولقد أبدى أكثر الأمناء تحفظهم بالنسبة لترشيح أنور السادات وبدرجة أقل نحو حسين الشافعى لكن الرئيس كان حريصاً على وجودهما باعتبارهما الباقين من أعضاء مجلس الثورة .

وقد تمت الانتخابات بطريقة علنية وبحضور أعضاء اللجنة المركزية والإعلام

ووكالات الأنباء العالمية وكل عضو أدلى برأيه كتابة ، كما تمت عملية الفرز بطريقة علنية وكانت تعلن بواسطة مكبر الصوت وأسفرت النتيجة النهائية عن الآتى :

على صبرى ١٣٤ صوتا وحسين الشافعى ١٣٠ صوتا ومحمود فوزى ١٢٩ صوتا وأنور السادات ١١٩ صوتا وكمال رمزى استينو ١١٢ صوتا وعبد المحسن أبو النور ١٠٤ صوتا وضياء الدين داود ١٠٤ صوتا وأعلن انتخابهم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى .

● من كان مسئولا عن الانتخابات . . ؟

– كان مسئولا عنها الدكتور محمد فوزى ومحمد عبد السلام الزيات وهو عين أنور السادات وصديقه الحميم فى تلك الفترة، أتحدى من يقول إن هناك تعليمات أو تخطيط لترتيب أولويات الانتخابات أو أن يكون حدث تدخل في إجراء العملية الانتخابية للجنة التنفيذيه العليا فقد تمت بحرية كاملة لجميع الأعضاء ولم يكن هناك أى تأثير على أى عضو، والأصوات التى حصل أعضاء اللجنة لم يحدث فيها أى نوع من أنواع التزوير .

● ألم تكن هناك محاولة لإبعاد ثروت عكاشه مثلا . . ؟

ـ إبعاد . .

● نعم . .

ـ لا . . هل هناك أكثر من عزيز صدقى، كان وزير الصناعة وأول وزير صناعة، من باب أولى أن تكون له حظوة ومع ذلك لم يفز . . لقد كان من حق الوزراء أن يرشحوا أنفسهم إلا وزير الداخلية بحكم كونه أمينا للتنظيم فى نفس الوقت .

● وخالد محيى الدين . .

ـ ولا خالد محيى الدين . . ولا أى واحد . . ولم تكن هناك توجيهات بالنسبة لأى إنسان . . كانت العملية متروكة لتقييم الأعضاء والتصويت الحر وأعتقد أن البعض

أراد أن يغطى موقفه بأنه تخيل أو أراد أن يوحى بأنه حدث تدخل . وهذا ما أستطيع أن أنفيه نفيا قاطعا . . .

● الشق الثانى من السؤال عن تزوير الانتخابات ، وهو حول نسبة ٩٩.٩٪ . . هل كانت هذه النسبه حقيقية ومعبرة عن رأى الناس ، أم كان فيها نوع من التدخل لأن هذه النسبة بدأت منذ تلك الفترة . . ؟

-النتائج كانت تشرف عليها لجان قضائيه ، ووزارة الداخلية ، وأعتقد أنه ليس هناك مصلحة للجان القضائيه ولا وزارة الداخلية بأن تزور إرادة جماهيرية . . ولا أن تزور رغبة الجماهير ، لماذا تزورها ولمصلحة من . . . وفى نفس الوقت كان جمال عبد الناصر، علاوة على كونه فى قمة السلطة كان فى قمة حب الناس له ولا يحتاج أن يقال له ٩٩٪ أو ٩٥٪ او ١٠٠٪ .

● هل كان سيقلل من قيمة جمال عبد الناصر أن يفوز بنسبة ٧٠٪او ٦٠٪ . . ؟

– بعد كل استفتاء كان يطلب نسبة الحضور، وعدد الأصوات الباطلة وعدد الأصوات الصحيحة . . و. . و. . وكانت هناك تقارير رسمية معتمدة من الجهات المعنية . . هذه الأوراق موجودة لم تكن شفوية .

● ألم يتسرب شك بأن هذه الأوراق يمكن أن تكون مزيفة . . الأوراق موجودة ، أنا أعرف ذلك .

– أنا أشك فى عملية التزييف . . لماذا تزيف . . وما هو الغرض منه؟ .

● أن يكون هناك إجماع . . ويظهر أن هناك إجماعاً .

– كان يوجد إجماع . . هذا طبيعى ، يعرفة الناس جميعا .

● لا نستطيع أن نقول إن هناك اجماعاً ، لأنه كان هناك أشخاص أضيروا من الثورة وكان هناك إخوان مسلمين . . وأشخاص معادون . . الخ

ـ كان البيان يقول نسبة المعارضين كذا . . ونسبة المؤيدين كذا

● لكن هذه النسب تصل إلى ٩٩٪

- الذين ذهبوا وأدلوا بأصواتهم . تفرز أوراقهم والنماذج الانتخابية فى صورة تقرير . . عن الذين ذهبوا .

● **ألم يكن وارداً ملء الاستمارات للناس . . وملء هذه الأوراق . . ؟**

- **لا أعرف** . . لم يصل الى علمى واقعة مثل ذلك . . أنا فى موقعى لم أكن جهة تحقيق ولا جهة مساءلة بحيث أعرف إذا كان هذا الكلام صحيحا أو خطأ . . يأتى لى تقرير معتمد من جهة رسمية كبيرة تقول النتيجة كذا . . أنا لا أملك السلطة أو الصلاحيات أن أراجع هذه الجهة المسئولة ، فهذه مسألة ضمير . . .

● **يمكن هذه الجهة تريد أن تتزيد ، وتتقرب الى الرئيس؟**

- هذا الموضوع يتعلق بضمائر الناس . .

● **قرأت على هذه النسبة وتساءل أحد المحاضر أن جمال عبد الناصر اعترض وقال نفسه لماذا ٩٩٪ ؟ - هو نفسه تساءل ولفتت نظره هذه النسبة غير العادية؟**

- أنا أقول إنه كان يسأل ويبحث عن نسبة الحضور ونسبة المعترضين، هل هذا صحيح ٩٩٪، هو نفسه كان يود أن يعرف الحقيقه . . ثم توضع أمامه النتيجة ، ماذا يفعل . .؟ هل تأتى لجنة من الخارج أو من الأمم المتحدة تراجع جهة رسمية معنية قضائية تشرف على الانتخابات وتكتب تقريرا ، وهذا التقرير يرفع الى اللجنة العامة اللجنة العامة للانتخابات ترفعه الى كذا و. . و. . حتى أن يصل الى رئيس الجمهورية . . .

● **هل هذه الواقعة التى رويتها - وأظن أننى قرأتها - صحيحة ، أن جمال عبد الناصر تساءل لماذا نسبة ٩٩٪ . . .؟؟**

- فى كل الاستفتاءات كان يبحث عن الحقيقة . . نعم الواقعة التى رويتها أنت صحيحة . .

● **هل كان يعترض على وجود مثل هذه النسبة . . ؟**

- لا . . لم يكن يعترض لكنه كان يريد أن يتأكد . . هل هذا الكلام صحيح يعكس الواقع فعلاً . .

● **هل كانت هناك ثمة توجيهات لمجلس الأمة فى مناقشاته ؟ . .**

- لا . .إلا التنظيم الطليعى . . فالأعضاء يتفقون على رأى موحد مثل أى عمل حزبى . .

● **فى مجلس الأمة هناك واقعة نائب منع من دخول الجلس؟**

ـ من . . ؟

● **محمد عبد الشافى نائب من محافظة البحيرة .**

- منع من دخول مبنى مجلس الأمة؟

● **نعم منع من الدخول**

- لاأذكر التفاصيل ، كان فى مجلس ١٩٦٤م

● نعم . . كان ضد وجيه أباظة . . محافظ البحيرة . .

- وأذكر شيئا يتعلق بمحمد عبد الشافى . . وإذا كان نائب يمنع من دخول المجلس فيكون بأمر من رياسة المجلس . . هى التى تمنع . . ولايكون ذلك من رياسة الجمهورية . . لا يمكن أن جمال عبد الناصر يقول لمجلس الأمة لا يدخل هذا النائب

● **كنت أنا نفسى حاضرا جلسة مجلس الأمه واعترض محمد عبد الشافى على رئيس المجلس قائلا إنه يحجب استجواباته ويحجز أسئلته وأن رئيس المجلس رد عليه بعنف وقال له بالنص أنا نصحتك فلم ترتدع . . .إلخ وخرج عبد الشافى من قاعة الجلسة والمعلومات التى لدى بعد ذلك أن رئيس المجلس أصدر أمره إلى حرس المجلس بعدم دخوله ، وفيما بعد سمعت أن جمال عبد الناصر ثار ضد أنور السادات على هذه الواقعة وقال له إذا كان نائب لا يستطيع أن يقول رأيه فى مجلس الأمة . . فهو أمر خطير.**

- تذكرت . . هذه الواقعة . لأن الرئيس عاتب أنور السادات وعاتب وجيه اباظة ، وقال لوجيه أباظة إن الخلافات داخل المحافظة مطلوقة ، ولا يكون رد الفعل أن تؤثر على العملية النيابية . . عليك أن تقبل النقد وتقبل الأوضاع وتحترم رغبة الذين انتخبهم الشعب. . . والذى أذكره أيضا أن محافظة البحيرة كان قد أصدر تعليمات لرؤساء

المصالح في البحيرة بعدم استقبال محمد عبد الشافى لكن الرئيس عبد الناصر عندما علم بهذا الأمر عنف وجيه أباظه ورفض هذا الأسلوب .

● ونحن نتكلم فى هذا المجال أنا أذكر كلمة للرئيس عبد الناصر فى اجتماع اللجنة المركزية وكانت المناقشة حول حرية الصحافة وصف الرئيس الشعب المصرى بأنه شعب ناقد وقال نحن هوايتنا النقد وأن الشعب ينتقد ، أنا لما أصحى أجد «الفانلة »بعشرين قرشا لابد أن أنتقد ولابد أن نقول ان هؤلاء ليسوا معارضين للثورة لكن مع الثورة ولا توجد رقابة على الصحف . .إلخ . . إلى أى حد كانت عملية الرقابة وكنتم تعرفون ما تقوله الصحف قبل نشره .

– فى فترات كانت الرقابة على الصحف ، وكان ذلك معلنا ومعروفا للعامة والخاصة لأنه صدر بقرار منشور وفى فترات رفعت الرقابة ، والمادة التى تمنع من النشر فى الصحف كان الرقيب يبلغ بها وزارة الإعلام ، وفى بعض الأحيان عندما يحدث خلاف بين كاتب المقال او رئيس التحرير وبين الرقيب يحتكم الى الوزير الذى يلجأ أحيانا الى الرئيس ، وفى كثير من الأحيان الرئيس أجاز مقالات كان الرقيب معترضا عليها وبعض المقالات حذفها الرقيب أو طلب حذفها وصلت الرئيس . . الرئيس يتصل بالرقيب العام يقول له المقالة الفلانية تنشر، . . فعملية الحذف كانت لها قواعد حول المسائل الأخلاقية والأعراض ومايمس أمن الدولة والقوات المسلحة أو العمليات العسكرية بصفة عامة أو يمس قضايا ذات طابع حساس مازالت منظورة أمام المحاكم مثلا ولم يبت فيها . .



شرف سامى مع رئيس لبنان فبراير سنة ١٩٧١ لإبلاغه رسالة من القاهرة بعدم التعرض للفلسطينيين

١٢ جمال عبد الناصر

التنميه .. التأميم

فى هذا الجزء من الحوار يتحدث سامى شرف عن أول خطة للتنمية وضعت فى مصر . . وعن الصناعات التى أقيمت فى تلك الفترة، وكيف أنها أنشئت بالاشتراك مع كل دول العالم . . الشرق والغرب والولايات المتحدة الأمريكية .

ويتفرع الحديث ليجيب على تساؤلات حول قرارات التأميم التى صدرت عامى ٦١ و٦٣ ما هى دوافعها وهل كانت للانتقام الشخصى .

ويكشف السر لأول مرة عن تفويض جمال عبد الناصر فى أيامه الأخيرة لأحد الأطباء بأن يقوم بالحج نيابة عنه ومن ماله الخاص، كما يتحدث عن علاقة عبد الناصر بمصطفى النحاس باشا، وعدد من السياسيين السابقين وكذلك علاقته بأخوته . .

وكان السؤال الأول الذي طرحته على السيد سامى شرف حول خطة التنمية . . أول خطة تنمية فى مصر والعالم العربى فى وقت لم تكن قد عرفت خطط التنمية بعد . قلت له :

● الرئيس عبد الناصر وضع أول خطة للتنمية فى مصر هل يمكن أن نلقى الضوء على هذه الخطة وكيف وضعت؟

ــ قبل أن توضع الخطة كانت هناك أبحاث ولقاءات واجتماعات بين الرئيس عبد الناصر وبين المسئولين بالدولة فى مختلف القطاعات الانتاجية والخدمية ونعود بالذاكرة الى بداية سنة ١٩٥٢ كان أحد الأهداف الاستراتيجية الأساسية منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو هو التنمية التى كانت حجر الأساس لإحداث التغيير الواسع ، ليس أشخاصا، ولكنه فى نظام وأسلوب الحكم ونمط الحياة ومنطق البناء المتكامل، بناء القاعدة السليمة .

ويصبح هذا البناء النموذج بالنسبة للأمة العربية ومنذ بداية الثورة قام مجلس

الإنتاج ومجلس الخدمات . وهذان المجلسان كانا يضمان جميع الأساتذة والفنيين فى مختلف التخصصات، ولعلنا نذكر ان هذين المجلسين كانا يضمان فئات من الخبراء . وفى هذا المجال أقول إنه لم يكن فيهما أهل ثقة بقدر مافيهما أهل خبرة . بدأ هذان المجلسان بداية طيبة جدا ووضعا تصورهما لوسائل التطور والتحديث في المجتمع ، وكانا مع الجهاز التنفيذى ومجلس الوزراء يشكلون الشورى الحقيقية من أجل إحداث التغيير . . . . .

ولعل فى مراجعة محاضر اجتماعات ومناقشات وتوصيات مجلس الخدمات والإنتاج ونشر مثل هذه الآراء ما يعطى صورة كاملة وشاملة للمجتمع ويعطى أيضا صورة كاملة كيف كانت تدار المسألة من ناحية التنمية .

وبناء على القرارات الأساسية التى اتخذت بعد دراسات مجلس الإنتاج والخدمات أقيمت الوحدات المجمعة فى جميع أنحاء مصر من اسكندرية الى أسوان، كانت تبنى مدرسة كل ٢٤ ساعة، ووضعت نواه للصناعات الصغيرة باعتبار أن البيت الريفى بيت منتج سواء كان إنتاجا حيوانيا أو سلعيا، وأنشئت الجمعيات النوعية التى كانت تسوق هذا كما أنشىء جهاز الأبنية التعليمية .

وعندما بدأت هذه التنمية الواسعة أذكرك بحديث «بن جوريون» حول عبد الناصر وأهدافه وخلاصته أن أخطر شيء في عبد الناصر هو اتجاهه نحو التنمية لأن التنمية يترتب عليها تقدم فى مصر فى جميع المجالات بحيث تجذب جميع القوى المتصارعه فى العالم العربى نحو نموذج حى يحقق طموحات وأحلام العالم ، العربى وهذا فى حد ذاته مزعج بالنسبة لإسرائيل، ومن هنا نذكر حادث غزه في ٢٨ فبراير سنة ٥٥ وهى أول اعتداء إسرائيلى بعد الثورة وترتب عليه اقتطاع جزء من التفكير في البناء نحو التسليح، ولا يمكن أن يسمح أي نظام بالاعتداء على بلده ويقف مكتوف اليدين ، وخصوصا أن المعلومات بدأت تتوافر بشكل موسع أن هذه العمليه كانت مقدمة لجس نبض القوة المصرية الجديدة وقدرتها، وحدث نوع من التحول عن السير بهمة في التنمية وهى الهدف الأساسى .

وللعلم فإن عبد الناصر منذ سنة ٥٢ إلى ٧٠ لم يهمل قضية التنمية ، قد تتفاوت درجات الاهتمام والتركيز عليها مع الوضع فى الاعتبار الأمن القومى لمصر وللأمة

العربية، يضاف الى ذلك ماتبلور من موقف الولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة جر مصر الى معارك عندما رفضت الدخول فى حلف بغداد ، وأصرت على تأكيد استقلالها، وكان هذا يعنى أنه لابد من بناء القوة الذاتية .

وبالرغم من هذا كان عبد الناصر مصرا على التنمية وكان يسعى إلي الحصول على ما يمكن مصر من إتمام برنامجها التنموى بالانفتاح على العالم كله ، أوربا الشرقية والغربية وأمريكا والبنك الدولى والعالم الثالث، ولكن بلاشروط لأنه لم يكن يقبل أن يمس استقلال مصر فى قرارها أو الإطار العام لأهداف المجتمع المصرى .

● والسؤال كان عن أسلوب وضع الخطة . . كيف وضعت خطة التنمية؟

ـ وضع الإطار الأول من مجموعة مختارة من الخبراء من مكاتب رئاسة الجمهورية الفنية وخبراء من داخل وخارج السلطة ومجموعة من الخبراء الأجانب ، كما درست تجارب الهند ويوغوسلافيا والسويد وفرنسا . وكان الغرض منها هى مضاعفة الدخل القومى خلال أقصر فترة ممكنه ، وقدر لها الخبراء عشرين سنة ولكن القرار السياسى كان طموحا إذ كان التقدير أن يكون مضاعفة الدخل القومى خلال عشر سنوات وذلك لمقابلة الزيادة السكانية (٥ ,٢ ٪) علاوة على الأمكانيات المحدودة فى التوسع الزراعى فكان التفكير في دفع عجلة الإنتاج الصناعى لإحداث التوازن فى التنمية .

بعدها وضع إطار لخطة عرضت على مجلس الوزراء وقرر تقسيمها الى خطتين خمسيتين أولى وثانية . وكان التمويل المحلى عن طريق البنوك الوطنية وصناديق التأمين والمعاشات ، ولم يكن هذا كافيا ، وبناء عليه فقد وضعت أهداف أخرى أهمها التغلب على العجز من خلال المدخرات الوطنية ووضعت خطة لتشجيعها .

وقد طرحت الخطة على العالم الخارجى (الغربى والشرقى والعالم الثالث) وكان حجم التعامل المستهدف مع الغرب وبدرجة أقل مع الشرق ولما كانت المشكلة الأساسية هى عجز التمويل الداخلى فكان لابد من التأميم الذي لم يكن هدفاً فى حد ذاته بل كان وسيلة كما أن لم يكن موجهاً ضد أفراد بل كان من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وساعد على تحقيق أهداف الخطة ، ويمكن أن نعتبر أن عام ١٩٦١ كان عام بدء الثورة الاجتماعية وبدء توفير القدرة على التنمية الوطنية مع انفتاح على العالم كله بما يحول دون

التبعية لأى ضغوط خارجية ــ كما طرحت الخطة على القواعد الشعبية المصرية صاحبة المصلحة الأولى فى التنمية .

●بعد هذا العرض للخطة هناك بعض الاستفسارات، يتردد مثلا أن الخطة قام بها المعسكر الشرقى لأن مصانعنا كانت منه وأننا كنا متعلقين عليه فقط؟

ــ لقد كان حجم التعامل الأكبر في الخطة الخمسية الأولى مع المعسكر الغربى لأن عبد الناصر يصر على التنمية . وبالرغم من الضغوط والعدوان والحصار الاقتصادى ، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى مصدر بعض مستلزمات الإنتاج وجميع أنواع الشحومات والدخان حتى فى أيام المقاطعة السياسية وقطع العلاقات ومصنع كيما للسماد في أسوان من ألمانيا الغربية ومن سويسرا مصانع أدوية، وأكبر مصانع الأدوية في الشرق الأوسط «هوكست» مصنع ألمانى و مصنع «فيزر» وهو مصنع أمريكى ومصنع النصر للسيارات إيطالى مع شركة فيات ، ومصانع الغزل والنسيج ومعدات الغزل والنسيج وقطع غيارها معظمها غربية من أمريكا وألمانياوالهند . وكانت هناك أيضا مصانع من الاتحاد السوفيتى وقد كانت شروطة انه يعطينا المصانع على ٢٠ سنه بفائدة ٢,٥ ٪ تسدد بعد بدء إنتاج المصنع بخمس سنوات، وكان في التعاقد مع الاتحاد السوفييتى أنه يحصل على جزء من الانتاج مقابل إقامة هذه المشروعات . وكل الناس يتذكرون الفترة من ٧٤ والحملة التى شنت ضد عبد الناصر حول علاقته بالسوفييت وقيل إنه ارتمى فى أحضان السوفييت وأنه . . ويمكن الرد على هذا فى حادثين : الأول سنة ٥٨ عندما هاجم خورشوف الوحدة مع سوريا رد عليه عبد الناصر فى نفس اليوم ووضعه فى مكانه . ولقد كنا في هذا الوقت بالذات فى أشد الحاجة إلى قطع غيار عسكرية هامة .

المثل الثانى أثناء بناء السد العالى وكان فى مصر الاف الخبراء السوفييت وبالذات فى أسوان ولم تضبط خلية شيوعية واحدة في ذلك الوقت بل بالعكس كان يتردد بيننا كمسئولين إن المصريين علموا السوفييت مص القصب بدل من أن يتعلموا منهم الشيوعية .

● الرئيس قال هذه الجملة فى أحد جلسات اللجنة المركزية . . . المهم أنه فى هذ الفترة شهدت مصر الانفتاح الاقتصادى الإنتاجى الحقيقى ؟

ــ أدخلت الخطة الخمسية الأولى صناعات جديدة فى مصر ، صناعات ثقيلة كان الهدف أن نصل فى نهاية الخطة الثانية الى تصنيع الصناعة . كما اشتملت الخطة على صناعات خفيفة واستهلاكية ، كما تحقق لأول مرة فائض للتصدير من الصناعات المصرية وبعض الحاصلات الزراعية الأساسية (الأرز مثلا) .

وأحب أن أوضح هنا أن عندما نقرر التوسع في التنمية الصناعية فان الدول الرأسمالية لم تساهم إلا بقدر محدود فى مجالات صناعات استهلاكية خفيفة مثل الغزل والنسيج والسكر وفى الصناعات الثقيلة التى كانت قد بدأت مع ألمانيا فلم تشأ ألمانيا أن تكمله . وكما هو معروف فإن الدول الرأسمالية لا تدخل فى إقامة أو توسع صناعات يمكن أن تؤدى الى منافسه منتجاتها .

ولذلك فقد راعت الخطة التوسع فى الصناعات التى كانت لها قاعدة سابقة كالسماد والغزل والنسيج والأسمنت والسكر من أجل تحقيق عائد تصديرى يمكن أن يوجه لقطاع الصناعات الثقيلة. ولقد كان من أبسط الأمور وأيسرها أن نأخذ بالنمط الاستهلاكى وتكون النتيجة أن يطحن غالبية الشعب .

● أنشئت في فترة مبكرة بعد العدوان الثلاثى مايسمى بالمؤسسة الاقتصادية ثم بدأت الخطة ، ثم بدأت مرحلة التصنيع ويقال إن أحد المشاكل الأساسية التى واجهت هذه الخطة رغم نجاحها أن الذين كانوا يديرونها هم رجال القوات المسلحة أى أنهم أهل ثقة وليسوا أهل خبرة؟

ــ عندما تأسست المؤسسة الاقتصادية سنة ٥٧ تولاها أحد أعضاء مجلس الثورة هو السيد حسن إبراهيم وكان المدير العام والدينامو والمحرك الأساسى هو السيد صدقى سليمان ومعه مجموعة من الخبراء والفنيين والإداريين والاستشاريين وأداروا المؤسسة بكفاءة مشهود لها، وصدقى سليمان أهل خبرة وأهل ثقة في نفس الوقت . وفى موضوع أهل الثقه وأهل الخبرة هل يستعين صاحب العمل بأى شخص موضع ثقة فقط أم لابد أن يتوافر فيه الشرطان معا، وهل رجال القوات المسلحة من خارج مصر؟ إن المقصود

بهذه الجملة إحداث نوع من الفتنة . إذا كان لأحد الأشخاص ابن ضابط هل يلفظه لمجرد أنه ضابط بالعكس إن الضباط يديرون وحدة قتالية هدفها الاستشهاد وهو أبلغ تعبير عن الثقة والخبرة، الضابط إنسان مؤهل ودرس علم الإدارة .

● ولكن علم إدارة المصنع يحتاج إلى خبرة في المصنع .

ــ إذا كان هذا الضابط مهندساً يكون عنده الخبرة والثقة فى نفس الوقت ضابط مهندس او ضابط دكتور لايقل عن المهندس العادى بل بالعكس ربما تكون لدية خبرة إضافية فى مجالات أخرى لأنه درس علم الإدارة مستقلاً . اذن لانستطيع أن نجزم أن هؤلاء لايمكنهم إدارة المصانع لمجرد أنهم عسكريون .

● جهاز التعبئه والاحصاء فى تقريره أن العسكريين الذين عملوا فى الإدارة بصرف النظر عن أنهم مؤهلون أو غير مؤهلين تأهيلا علميا بالاضافه الى أنهم عسكريون مهندسون أو أطباء أو خلافه نسبتهم الى المديرين ٥٪؟

ــ العسكرى لدية خبرتان خبرة إدارية وخبرة استشارية، في عام ٦٧ مثلا كان مجلس الوزراء كله أساتذة جامعة. وحتى العسكريون فيه كانوا قد تركوا العسكرية منذ عام ٥٢ ولذلك لايمكن أن يقال عنهم إنهم عسكريون لأنهم تركوا العسكرية، وكانت هذه الوزارة تسمى بوزارة الدكاترة، كلهم كانوا أساتذه جامعة كما أن وزارة الصناعة مثلا لم يتولاها عسكرى . وفى كل المجالات كان خبراء وأساتذة جامعة ودعنا نبحث مسأله أهل الثقة وأهل الخبرة بأسلوب علمى، فى رأيى أن أهل الثقة هم من يستطيعون أن ينفذو السياسة العامة في الموقع الذى تختارهم فيه دون الخروج عن الخط السياسى. أما أهل الخبرة فهم من يعطونك الخبرة الفنية كل فى مجاله مستندين إلى النظريات التى قد تتعارض مع التطبيق العملى في بعض الأحيان. . . ربما قد لايحقق الهدف السياسى .

وعموما وفى النهاية فإن القرار دائما هو القرار السياسى وإن أكبر الشركات في العالم المتقدم يتولى أمورها سياسيون بالدرجة الأولى . ومع ذلك فإن أهل الثقة حسبما أفهم من سؤالك الذين أداروا المشاريع المصرية سواء بعد التمصير أو التأميم ، كانوا في الغالب يجمعون الصفتين معا كأهل خبرة وأهل ثقه فأغلبهم كانوا من المهندسين أو الأطباء أو الصيادلة . والأمثله لا الحصر تنطبق على صدقى سليمان ــ سليمان متولى ــ محمود يونس ــ فتحى رزق ــ أحمد توفيق البكري ــ البديوى فؤاد ــ عزت عادل ــ عبد الحميد أبو بكر محمد نصار . . وغيرهم كثيرون كانوا ضباطاً وأداروا مواقع في غاية الحساسية والأهمية والتعقيد فماذا كانت حصيلة إدارتهم وبعضهم مازال حتى اليوم فى عام ١٩٩٢ يدير مؤسسات حيويه واستراتيجة هامة .

إن ما يثار حول هذا الموضوع في رأيى هى حلقة من حلقات حملة التشويه للتجربه المصرية المستقلة لثورة يوليو.

● الجنيه الاسترلينى كان يساوى ٩٧ قرشا بعد أن وضعت القوانين . وأنا أتصور أن هذه القوانين لم تكن تقل عن قوانين الاستثمار الحاليه بل كانت تشمل ميزات أكبر واوسع؟

ــ وهذه نقطة تحسب للنظام وليس عليه لأنه لم يكن هناك قيود على الاستثمار ولا على القطاع الخاص الذى رفض أية مساهمة فى التنمية .

وكان عبد الناصر يرى أن القطاع الخاص له دوره الهام على كل المستويات وكان يتجه الى دعم القطاع الخاص المنتج وأقيمت تعاونيات لمده بالخامات ومستلزمات الإنتاج ، كما أقيمت له معارض خاصة للعرض والتسويق (النسيج / الأثاث/ صناعات حرفية . . . إلخ).

وكانت الخطة تحتاج الى مصادر التمويل من الحكومة ومصادر خاصة وتمويل أجنبى، لذلك كان التفكير فى استثمار الأموال الخاصة للمعاونة على تنفيذ الخطة ولذلك أممت البنوك ولم يكن التفكير فى أشخاص أو مؤسسات أو دول بعينها . ولقد بدأ أولا بتأميم البنوك، قبلها كان تمصير الشركات والبنوك الأجنبية .

ولقد كان الغرض من التمصير هو تخليص مصر من استغلال اقتصادى كان يتمثل فى شركات التأمين والبنوك وشركات الأراضى وفى قطاع التجاره الخارجية وتجارة القطن بالذات كل هذه الأنشطة كانت تحت سيطرة أجنبية ومتمصرين، ولقد أدى التمصير الى خلق ركيزة اقتصادية وتجربة فى نفس الوقت لقدرة الادارة المصرية لتسيير هذه المؤسسات علاوة علي خلق كادرات فنية أفادت فيما بعد .

●إن مأزق السير بسرعة فى التنمية ، والذى دفع إلى التأميم حتى يرفع معدل التنمية

ولقد أشار الميثاق الى ذلك وليس لأى سبب آخر ، هذا من حيث المبدأ ولكن كيف اتخذت قرارات التأميم ، هل تم التأميم عن طريق دفتر التليفون كما كتب البعض أى أحضر دفتر التليفون وفى صفحة الشركات تم اتخاذ قرار بتأميمها .

— التأميم كان فى الإطار الذى تم به تأميم قناة السويس، بموجب خطة، لقد أنشئت لجنة عمل لجنة ضيقة وكان مقرها فى الرياسة ولها مقر تبادلى آخر في عمارة بوسط العاصمة فى شارع عدلى ، وبدأت هذه اللجنة تجمع المعلومات عن طريق الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء كانت تطلب بيانات عن جميع الأنشطة من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات وهذه البيانات جمعت وصنفت بحيث تعطى تصوراً وشكلاً عاماً لمكونات المجتمع ولا يمكن إصدار قرار متعلق بمصائر الناس والبلد دون أن تكون هناك معلومات أقرب ماتكون للحقيقه، ، المهم أنه كانت هناك معلومات وبيانات أقرب ما تكون الى الصحة ووضع فى الاعتبار نسبة خطأ مسموح بها حسب قول رجال الإحصاء . تجمعت البيانات المتعلقة بكل الأنشطة وأجريت دراسات ومنها اتضح حجم الإنتاج الصناعى ووضعت صورة كاملة من هو المالك وأين تصرف الأموال والصورة العامة أن بعض أصحاب الأموال كانوا من اليهود وأن هناك بعض رؤوس الأموال كان يمتلكها متمصرون ، وأغلب المساهمين فى الشركات متمصرون وكانوا يسيطرون على مشروعات هامة إنتاجية أو تجارية وأوضحت الصورة أنه لو استمر تملك هؤلاء لوسائل الإنتاج لن تصل الى شىء بل ربما تصل إلى تدهور في الإنتاج ثم إنك بتملك الوسائل التى تستطيع بها تحقيق الهدف العام وهو مصلحة الغالبية العظمى من الشعب لابد أن توضع الضوابط لإحداث التنمية . ومن هنا بدأ التفكير في التأميم ووضع يد الشعب على هذه الوسائل لإحداث التنمية . ولم يكن الهدف الانتقام بدليل أن أكثر من ٧٠٪ أو ٧٥٪ من الشركات التى أممت بقى على رأسها أصحابها الحقيقيون وأمثلة ذلك عثمان أحمد عثمان وحسن علام ومختار ابراهيم بقوا كما هم حتى فى شبرا الخيمة وبعض مصانع الحديد والصلب بقى أصحابها فترة إلى أن توفاهم الله

إن التأميم كان اتجاها للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية والوطنية المستقلة .

وخلاصة القول إن الخطة الخمسية الأولى من سنة ٦٠ الى ٦٥ كان هدفها زيادة الدخل القومى مما كان عليه فى الأساس ووصل ٩ ,١٥٧٦ مليون جنيه والاستثمارات

المنفذة بلغت ١٥١٣ مليون جنيه اى بنسبة ٥ , ٩٥ ٪ من الاستثمار المستهدف وبمتوسط سنوى قدره ٦ , ٣٠٢ مليون جنيه بمعدل ١٩٪ من الدخل القومى فى المتوسط خلال سنواتها والمدخرات القومية ساهمت فى تحديد هذه الاستثمارات بمبلغ ٦ , ١٠٩٥ أى بنسبة ٥ , ٧٢٪ تقريبا، القروض الأجنبية ٤٠١٧ أى بنسبة ٦ , ٢٧٪ ومتوسط معدل النمو السنوى ٥ , ٦٪ بينما زيادة السكان ٨ , ٢٪ فى المتوسط الإنتاج الصناعى ٦٦/ ٦٧ زاد من ٦١٨ , ١٠٧٧ مليون جنيه الى ٤١٩ , ١١٦٩ مليوناً جنيه، التصدير الصناعى زاد من ٢ , ٨٢ مليون جنيه سنة ٦٦ الى ١٣٤ مليون، كما زاد نصيب دخل الفرد من الدخل القومى بمعدل ٢٨٪ .

وفى تلخيص إجمالى ، وحسبما ورد في تقرير البنك الدولى رقم (٨٧٠ A) الصادر فى وانشنطن في ٥ يناير سنة ١٩٧٦ (الجزء الخاص بمصر) كانت نسبه النمو الاقتصادي بمعدل٢ , ٦ ٪ سنويا بالأسعار الثابتة الحقيقية بل زادت هذه النسبة الى٦,٦ ٪ فى الفترة من سنه ١٩٦٠ حتى ١٩٦٥ أى أن مصر استطاعت أن تحقق تنميه اقتصاديه تماثل أربع أضعاف ما تم تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة عن عام ١٩٥٢ وكان معدل النمو فى العالم الثالث لا يتعدى ذلك وبهذه المناسبة فإننى أستاذن فى أن أذكر بأن مجموع الديون التى كانت تتحملها مصر سنة ١٩٧٠ هى أربعة آلاف مليون دولار (مجموع الدين المدنى والعسكرى وكان معظمها للاتحاد السوفييتى تسدد على أقساط طويلة تصل إلى عشرين سنة بفترات سماح كانت تصل إلى خمسة سنوات وبفائدة لم تتجاوز ٥ , ٢٪ وكانت معظم هذه القروض لتمويل مشروعات إنتاج . لعلى لا أذيع سرا إذا قلت لك إن الديون العسكرية حتى سنة ١٩٧٠ يمكن تجاوزا اعتبارها ديونا شبه معدومة .

كما أرجو أن نذكر بأن الدولار الأمريكى سنة ١٩٧٠ كان لايجاوز سعره أربعين قرشا مصريا .

ولقد كان فى نفس الوقت هناك ديون قصيرة الأجل (قروض — تسهيلات مصرفيه وموردين) حجمها ١٠٤ مليون جنيه مصرى بفائدة تراوحت قيمتها بين٩ ٪ و ١٤٪ سنويا لدول الغرب وأمريكا . وكانت أيضا هذه الديون لتمويل مشروعات إنتاجية بها

عائد فى الغالب أى أن الاقتصاد كان اقتصادا قادرا على الاستجابة كما يقول أهل العلم .

لقد كانت هناك معوقات ومشاكل لكنها كانت في أغلبها مشاكل نمو ومشاكل إدارة ومشاكل أولويات .

● هل يمكن أن نلقى الضوء على بعض الأسماء التى اشتركت فى وضع هذه الدراسات الخاصة بالتأميم؟

ــ من سنة ١٩٥٧ أجريت دراسات قام بها مديروا المكاتب الفنية فى رئاسة الجمهورية ومجموعة من الخبراء من داخل وخارج السلطة وخبراء أجانب كما درست تجارب التنمية فى الهند وفرنسا ويوغوسلافيا والسويد . ومن الأسماء البارزه التى ساهمت في إعداد الإطار لهذه الخطه على سبيل المثال عبد اللطيف البغدادى وعلى صبرى ــ حلمى السعيد وعزيز صدقى وعبد المنعم القيسونى وسيد مرعى وجمال عسكر وصدقى سليمان ولبيب شقير ومحمد فهمى السيد وعبد السلام بدوى وأحمد على فرج وأمين أنور الشريف وخبراء وزارة التخطيط .

وقد تندهش اذا قلت لك إن أحمد عبود باشا ومحمد أحمد فرغلى باشا لم يكونا بعيدين عن الاستشارة بل إن أحمد عبود عرض شراء بعض المؤسسات الممصرة .

● هل تستطيع أن تقول إن مأزق التنمية هو الذى جعل عبد الناصر يتجه الى الفكر الاشتراكى أم كانت لديه جذور لهذا الفكر؟

ــ إيمان عبد الناصر بالحرية والعدل الاجتماعى والمساواة والسلام الاجتماعى موجودة منذ أن كان طفلاً وتوفيت والدته وعاش مع زوجة أبيه وهو أكبر أخوته وتقع عليه مسئوليات كبيرة وخصوصاً فى غياب والده والحوادث التى مرت به فى شبابه في دور التكوين ومعايشته للاستعمار البريطانى وما كان يراه . وهناك حادثة معينة أثرت فيه فقد رأى قائدا إنجليزيا يدوس بسيارته طفلة صغيرة ولم يستطع أحد أن يفعل له أى شيء حركت هذه الحادثة في نفسه عوامل كثيرة وكانت هناك احاديث بينه وبين عمه وتصل الى أن قال له عمه اسكت انت ثورجى من صغرك لأن آراءه كانت توضح ذلك بالإضافة إلى العمل الحزبى فى ظل النظام الملكى وما شاهده من حرب فلسطين ونظام

الحكم الفاسد . كل هذا خلق فى وجدانه زريعة الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية والمساواة التى ربما وردت فى المبادىء الستة للثورة بشكل آو بأخر فكانت تشمل نوعاً من العدالة . وقالها عبد الناصر بعد ذلك فى كثير من المناسبات بأن لدينا مبادىء تتطور بحيث تصنع شكل المجتمع الذى يريده الشعب لكن لاتستطيع أن ننفى الناحية العاطفية فى عبد الناصر والنواحى الإنسانية داخله .

وإننى وقد عايشته على مدى ١٨ سنه ألمس ذلك بوضوح يقول عنها البعض إنها أخطاء ولكنها إنسانية، وكان دائم الصفح ، وكنا بطبيعة شبابنا واندفاعنا نطالب بقرارات حاسمة : ليه ياريس . ولو أجرينا إحصائيه لما نسب إلى ثورة عبد الناصر من أخطاء لكان سببه هذه الإنسانية والإيمان منه بأن الله يرحم ويغفر فما بالك بالبشر . إنه كان لا ينسى أبدا دوراً قام به شخص ما قبل الثورة أو بعدها عندما كان يقع هذا الشخص فى خطأ وتترتب عليه سلبيات لا أستطيع أن أقول إنه يبعد عنه المسئولية ولكن كان يتحملها ، وهذا حدث سنة ٦٧ في النكسة التى تحملها هو .

● هل ننتقل الى موضوع آخر بعد أن ناقشنا الخطة ؟

ــ نعم . . ولكن لابد من إضافة صغيرة ننهى بها حديثنا حول الخطة وهى أنه كانت هناك مبادىء مقررة كثوابت للاسترشاد بها في اتخاذ القرارات الاقتصادية .

١ ــ مراعاة البعد الاجتماعى .

٢ ــ القروض والتسهيلات الائتمانية يتم إنفاقها فى المشروعات الانتاجية وليس فى الخدمات .

٣ ــ عدم الميل للسياسة الانكماشية على زيادة الإنتاج . ولعل الإصرار على ضرورة التنمية فى ظروف إعداد الدولة للحرب بعد سنة ١٩٦٧ وما تستدعيه هذه السياسية من متطلبات وتضحيات فلم تقل الخطة الاستثمارية عن ٣٠٠ ثلاثمائة مليون جنيه سنويا بأسعار هذه الفترة (الجنيه كان يساوى حوالى دولارين ونصف) .

٤ ــ عدم السماح بأى شكل للبنك الدولى أو صندوق النقد أن يفرضا شروطهما المعروفة والتى مازالت هى هى حتى الآن .

(رفع الدعم ـ تخفيض قيمة العملة ـ إلغاء المكاسب الاشتراكية للعمال بالذات ـ إلغاء مجانية التعليم والتركيز على الخدمات)

٥ ـ التوسع والتطوير لمجمع الحديد والصلب ومجمع الألومنيوم والترسانه البحرية .

● هذه الإنسانيه نابعة من طبيعة شخصية ، أم أن أيضا لها جذورها الدينية عند جمال عبد الناصر؟

ـ الاثنان معاً، وكان جمال عبد الناصر متديناً جداً أيضا ، وأذكر أنه فى أوائل سنة ٧٠ طلبنى الرئيس قال لى أنا قررت أن أحج قلت له كيف وكان مفروضا أن صحته لا تسمح فقال إن الدكتور محمد صفوت سوف يمر عليّ ورتب معه الموضوع لأننى غير قادر صحيا وسوف يحج نيابة عنى الدكتور محمد صفوت أستاذ المسالك البولية بكلية طب القصر العينى ، وكان زميله فى حرب فلسطين ويعتبره طبيباً وصديقاً فى نفس الوقت . وهو رجل فاضل وجاءنى الدكتور صفوت ورتبت معه إجراءات السفر والحج للرئيس عبد الناصر نيابة عنه لمرضه وكانت مصاريف الحج كلها من جيب الرئيس الخاص وفعلا أتم الدكتور مناسك الحج بالإنابة عن الرئيس وأعتقد أن هذه كانت من آخر المهمات التى قام بها جمال عبد الناصر خارج مصر قبل رحيله فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

● ماذا عن حياة عبد الناصر المبكرة قبل الثورة وعن التزامه بأخوته، ما هى طبيعة هذا الالتزام بعد الثورة وخصوصا أنه قيل أن بين أخوته من استغل نفوذ عبد الناصر؟

ـ جمال عبد الناصر كانت لدية القدرة والإصرار على الفصل بين علاقاته الإنسانية وأى علاقة أخرى بالرغم من أنه كانت تغلب عليه الناحية الإنسانية إلا أنه فيما يتعلق بوالده وأخوته ثم أقاربه كان يستثنى نفسه من هذه القاعدة، وهناك أمثلة كثيرة على مواقف الرئيس عبد الناصر بالنسبة لعائلته فكان والده يركب المواصلات العادية حتى عام ٦٠ ، وفى يوم من الأيام اشترى لوالده سيارة نصر ١١٠٠ من جيبه الخاص وكان ثمنها حوالى ستمائة جنيه . وعندما أراد والده أن يغيرها رفض الرئيس، أما فيما يتعلق بباقى الأخوة فلا أحد منهم كان يمارس عملا خاصا سوى الليثى كانت عنده مدرسة خاصة، وشوقى كان موظفا حكوميا وكان مدرسا وانتدب للعمل فى مكتب الشكاوى،

ثم اشترك فى العمل السياسى فى منطقة شرق القاهرة ثم فى الاتحاد الاشتراكى، وعزالعرب كان يعمل فى جريدة الجمهورية كمراسل صحفى فى مدينة الإسكندرية، باقى الأخوة غير الأشقاء لا أحد منهم استثنى من أى شيء بل بالعكس أن أحدهم كان يريد دخول الكلية الحربية ولم تنطبق عليه الشروط ودخل بعد ذلك مدرسة غفر السواحل لأن شروطها كانت أقل من شروط الحربية، وأخ آخر بكفاءته ولياقته دخل كلية الطيران وكان من أكفأ الضباط الطيارين هو حسين، أخت الرئيس غير الشقيقه تزوجت بالصدفة أيام نكسة ٦٧ مباشرة ولم يحضر الرئيس زفاف أخته وقال لا يمكن يكون الشعب حزينا ومهموما وأنا أحضر فرح أختى ، وكان الفرح فى مكان خارج القاهرة وليس فى فندق ولا مكان عام ولكن فى أحد بيوت العائلة .

ابناء جمال عبد الناصر لم يعامل أى منهم أى نوع من المعاملة الاستثنائية بل بالعكس.

● وما يقال عن الليثى وعن أخوة الرئيس فى الاسكندرية والثراء وأنهم كانوا أقوى من محافظ الإسكندرية؟

ـ لم يترك أى منهم ثروة ، ولقد توفاهم الله جميعاًفيما عدا شوقى أطال الله عمره، الليثى كان يملك مدارس خاصة ومات دون أن يترك ثروة، وعز العرب بعد الشغل والتعب ابنه قتله واحد صاحب مصنع بالسكين ولا أحد بينهم حقق أيه مزايا عينية أو ملموسة، أما عن علاقتهم بمحافظ الإسكندرية فقد كان ممدوح سالم محافظ الإسكندرية وقبله حمدى عاشور وكان أى محافظ اتصاله مباشرة بنا وبالذات القاهرة والإسكندرية باعتبارهما العاصمتين وأى شيء يراه خارج عن القانون أو الأصول كان يتصل بنا فى الحال . وما من محافظ منهم أبدى اى شيء عن الخلافات. وأتصور أن يرى البعض وضعا خاصا لشقيق الرئيس بصفته هذه وهو تصرف خاص من هذا البعض، ولكن لم يخالف أحدهم القانون ، لم يعين أي منهم فى مناصب ومن عنده معلومات غير وذلك يقولها. القريب من الشخص العام والقريب منه دائما يكون موضع اهتمام من الناس ويكون تصرفه دائماً موضع كلام وتساؤلات .

●ونحن نتكلم عن الإثراء غير المشروع وأنت تقول إن أخوة عبد الناصر وهم أقرب

الناس إليه على الأقل بحكم صلة الدم لم يحققوا أى شيء من الثراء ، و تستطيع أن تقول إن الذين كانوا حول الرئيس من غير أقاربه لم يحققوا أيضا ثروات ، فقد رأينا أقارب ومن كانوا حول بعض الرؤساء أصبحوا أصحاب ملايين؟

ــ الذين كانوا حول عبد الناصر من منهم حقق ثروة؟! . إن تنظيم الرياسة كان واضحا ومعلنا ، وكل من عملوا مع عبد الناصر معروفين، فمن منهم حقق ثراء ومن أفسد ومن خرق القانون، من وزراء عبد الناصر أو كبار المسئولين معه منذ قيام الثورة حقق ثروة فى ظل حكمه، وليس هذا تبريرا لقد كان يتردد عن مستوى الرشوة كان للموظف الصغير أو عسكرى المرور وانما لم يصل لموظف كبير أو أى مسئول .

● الإثراء هنا لا يعنى الرشوة فقط وإنما يقصد به الإثراء غير المشروع ويأتى عن أى طريق؟

ــ هناك حوادث معينة بذاتها كشفت وسلطت عليها الأضواء ووصلت الى المحاكم، وليس هناك من نسب إليه اتهام لم يتحقق معه ولم يحدث أن أى وزير أيام عبد الناصر نسب إليه الإثراء غير المشروع أو مخالفة القانون لاوزير ولاوكيل وزارة حتى في قضايا الجمعيات الاستهلاكية وخلافه تولتها النيابة والقضاء .

● فى تلك الفترة وفي عز سيطرة عبد الناصر وكانت كل الأمور واضحه وتكتشف أنه لم يكن من مصلحة أحد أن يحمى أى فاسد ولم نكن نسمع عن سرقات القطاع العام أو نهب البنوك ويبقى السؤال عما اذا كان ما اتخذه جمال عبد الناصر من إجراءات راجعا لأنه هو شخصيا ضد الأثرياء؟

ــ أتحدى أن يقال إن عبد الناصر اتخذ قرارا ضد شخص بسبب الشكل أو اللون أو المنظر، القرارات التى اتخذت وفيها نوع من القيود أو حد من سطوة نفوذ معين كانت نابعة من مبدأ عام وليس من وجهة نظر شخصية أو تخص شخصا معينا . وهناك أشخاص قريبون جدا من عبد الناصر طبقت عليهم القواعد الخاصة بالتأميم وكانت لديهم حصص من الأسهم زيادة أخذت منهم مثل السيد على صبرى والدكتور ثروت الطبيب الخاص بعبد الناصر وهناك ناس قريبون ولم يستثنوا . وهناك من طبقت عليهم القاعدة واكتشف عبد الناصر أنهم ظلموا وأن الباقى لهم لاييسر لهم الحياة الكريمة فك

عنهم القواعد وهؤلاء العائلات اتصلوا بى وتم بحث حالتهم ولا أستطيع ذكر أسمائهم حتى لا أبدو أننى أمن على أحد وهناك ناس كان يمتلكون أرضاً وعقارات ، تظلموا وطلبوا بحث حالتهم وتم بحث حالتهم فعلا واتضح أنهم ظلموا فتم فك القيود عنهم. عديد من الناس، أكثر من عشر عائلات كبيرة وليست صغيرة وأسماؤهم غير عادية . منهم تجار ومن كانت عندهم مصانع وأحدهم مازال يذكر ذلك حتى الآن ووصلنى خطاب من ابنة أحدهم تشكرنى وتذكرنى بالواقعة منذ أيام قليلة . ولو كان عبد الناصر حاقداً على الأثرياء لم تكن تصرفاته بهذا الشكل وهناك أسماء كبيرة ولامعة كان معلوما تماما أنهم يتاجرون فى التحف وكانت ثرواتهم ملايين الجنيهات وبالرغم من ذلك كانوا يسافرون للعلاج فى الخارج على نفقة الدولة . .

● فى هذه المناسبة أريد أن أطرح سؤالا عن علاقة جمال عبد الناصر بمصطفى النحاس «باشا» وعندى معلومة تقول : عبد الناصر اتصل بأحمد فؤاد رئيس بنك مصر وطلب منه أن يصرف مبلغا للنحاس باشا لأنه كان في ضائقة ماليه؟

ــ الرئيس قابل مصطفى النحاس أول مقابلة رسمية كانت فى يوليو سنة ١٩٥٢ فى كوبرى القبة وقد حكى لى الرئيس أن النحاس طالع يقابل أعضاء مجلس الثورة بصحبة أحد معاونيه وكان معاونه يقول له يا باشا دول شوية شبان صغيرين ولازم تكون ناشف معاهم شوية فقال له مصطفى النحاس هل أنت تستطيع أن تقف أمام الدبابة ؟ فرد عليه: لا النحاس استمر ودخل على الرئيس ، انطباع عبد الناصر عن هذا اللقاء حسب رواية الرئيس لى أن النحاس باشا رجل طيب ووطنى وشريف وكان بعد كدة فى كل مناسبة يسأل عن أخبار النحاس باشا للاطمئنان ومعرفة ما اذا كان فى ضائقة . وواقعة حضرتنى أن النحاس باشا فى يوم من الأيام لم يستطع دفع فاتورة التليفون والرئيس أخذ خبراً بذلك وطلب أن تدفع رياسة الجمهورية فاتورة التليفون ، وصدرت تعليمات تفيد بأن فاتوة تليفون النحاس باشا علي رياسة الجمهورية التى عليها سداد قيمتها ، دائما لم يكن هناك احتكاك بين الرئيس والنحاس باشا، والعلاقة بين الرئيس عبد الناصر والنحاس باشا كان يسودها الاحترام والتقدير.

●هل كان الرئيس يعاون مصطفى النحاس ماليا؟

ــ أرجو أن تعفينى من الإجابة عن هذا السؤال.

●ثم حدثت مظاهرة فى جنازة النحاس عندما توفى وألقى القبض على البعض؟

ــ لم يكن الهدف من المظاهرة الاحتفال بتوديع النحاس باشا ولكنها محاولة للإثارة والإجراءات التى اتخذت مع البعض اتخذت فى أية مناسبة عامة ، فالشرطة من حقها أن تتخذ ما تراه لازما لحفظ الأمن ولكن أن تتخذ الجنازة وسيلة لإثارة الشعب فهذا مرفوض ، وكان الرئيس غير موجود فى مصر عندما حدث فى الجنازة ما يتنافى مع تقاليد الجنازات واحترامها ، أى نظام لا يقبل مثل هذا .

●لم يعترض عبد الناصر على قيام الجنازة بشكل رسمى فيما أعقد؟

ــ عبد الناصر هو الذى أمر أن يحتفل بتوديع النحاس باشا وتعمل له جنازة مناسبة من مكان عام ، وشيعت جنازة النحاس باشا بشكل لائق ومحترم بأمر من الرئيس .

●هل هناك من الزعماء السياسيين السابقين من انطبق عليهم ما انطبق على النحاس باشا من حيث علاقته بعبد الناصر؟

ــ عبد الناصر حاول أن يضمن لهم الحياة الكريمة ولم يكن هناك إلا ابراهيم عبد الهادى وكان منعزلا وكان لايترك القاهرة ، وكان هناك فرغلى باشا رجل الاسكندرية المشهور ، كان يزورنى فى المكتب وكان يكتب رأيه فى الموقف الاقتصادى والسياسى وما يراه ويطلب أن يعرض على الرئيس ، وكان الرئيس يطلع على رسائل فرغلى باشا ويهتم بها وعندما كان يتأخر كان الرئيس يسأل عنه ، وهو واحد ممن طبقت عليهم القرارات الاشتراكية وكان الرئيس يقابلة فى الإسكندرية ، وغيره كثيرون من رجال الحكم السابقين السياسيين والاقتصاديين بعضهم يكتب رسائله للرئيس عما يراه بالنسبة للأوضاع وينصح بالأخذ بأشياء معينة ، إو تأجيلها . أشخاص من جميع الاتجاهات بمافيهم الشيوعيون ، وقبل سنة ٦٧ كان هناك موضوع للدراسة وهو استغلال الأرض الجديدة وعملت دراسات فى كليات الزراعة بواسطة اقتصاديين زراعيين وسياسيين وقد كلفنى الرئيس أن أناقش مع اثنين من قيادات الشيوعيين حول رؤيتهم لمستقبل الأرض وعرضت عليهما أفكار الرئيس عن كيفية استغلال هذه الأراضى الجديدة ووضعا هما رؤيتهما أيضا . .

ولعلنا نستكمل بعضا منها فى حوارات قادمة .



سامى شرف وشعراوى جمعة مع أعضاء مجلس الثوره السودانى
قصر القاهرة سنة ١٩٧٠

١٣ جمال عبد الناصر

الوحدة .. الانفصال

ننتقل فى حوارنا مع سامى شرف إلى المساحة الأوسع والأرحب... إلي عالمنا العربى، الذي اعتبره عبد الناصر قطعة منه، واعتبر هو عبد الناصر قائده وزعيمه...

ومنذ ارتفع صوت عبد الناصر باعثاً القومية العربية مناديا بالمشروع القومى الكبير فى وطن يمتلك كل العوامل، لتجعله قويا عملاقا، إذا طرح خلافات الحكم، وانطلق على الطريق بما يملكه من مقومات الوحدة من لغة وتاريخ وأرض، وآمال وطموحات، ودين أيضا.

وتبرز فى المقدمة وحدة مصر وسوريا، أول وآخر وحدة عربية دستورية بين قطرين عربيين متباعدين بالإرادة الشعبية فى العصر الحديث.

قلت لسامى شرف:

● **نريد أن نلقى ضوءا على تجربة بين مصر وسوريا وننقل منها إلى لانفصال..**

ــ إن تجربة الوحدة تستحق أن نقف عندها طويلا، لأنها تمثل منعطفا هاما في تاريخ الأمة العربية لذلك فلا بأس من أن نتناولها فى أكثر من لقاء، ونتوسع في أسبابها، وأيضا فى مصيرها الفاجع.

فكما أنه كان للوحدة آثار، فقد ترك الانفصال جروحا فى جسم الأمة العربية، وسبب مضاعفات ربما مازلنا نعانى من بعضها حتى الآن.

لابد أن تكون بدايتنا منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت سوريا أول بلد عربى يستقل، وكانت بتراثها وتاريخها مؤهلة لتستكمل الدور الذى كان محور كفاحها القومى، وهو الوحدة واسترداد كيانها الذى تم تفتيته بواسطة بريطانيا وفرنسا منذ معاهدة سايس بيكو حتى الاستقلال.

ولكن ما أن تحررت سوريا حتى وقعت فى صراع مستميت ، الإنجليز الذين كانوا يريدون وراثة فرنسا وضمها الى الملك عبد الله، لتقوم مملكة سوريا الكبرى التى تنضم للعراق ليتحقق الهلال الخصيب ـ ثم بين الولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت تريد وراثة فرنسا وبريطانيا وأن تبدأ بسوريا لتفك الحصار عن إسرائيل .

وبدأت سلسلة الانقلابات الأمريكية والانقلابات المضادة البريطانية ، وكانت سوريا أول تجربة لنقل انقلابات أمريكا اللاتينية ... وهكذا وتحول الاستقلال السورى الى مأساة دامية .

● كان ذلك قبل ثورة يوليو ١٩٥٢؟

ـ واستمر بعدها، وبعد قيام الثورة تطلعت القوى القومية والديمقراطية الى النظام الثورى الذى قام فى مصر وسرعان ما قامت علاقات وثيقة تستند إليها فى الإطاحة بآخر الانقلابات الأجنبية ، وتبدأ مرحلة تاريخية جديدة وقام حلف مصرى سورى بشكل طبيعى وتلقائى وأصبح المحور الذي تلتف حوله كل القوى الوطنية والثورية فى العالم العربى ، ولقد كان هذا المحور الجديد هو الذى هزم حلف بغداد ، وأيضاً الذى هزم عدوان ٥٦ ، وكان انتصارا وميلاداً جديداً للأمة العربية وللثورة العربية، وكان هو أيضا الذى أفشل «مشروع أيزنهاور» ونظريته لملء الفراغ . بعد فشل العدوان الثلاثى أصبح محور الاستراتيجية الاستعمارية انهيار هذا الحلف العربى المصرى السورى بأى شكل .

وكانت العملية الكبرى التى تحالفت فيها الأطراف التركية والعربية والإسرائيلية والذى قادها لوى هندرسون أحد أقطاب المخابرات الأمريكية، عقد مؤتمر أنقرة لإعطاء إشارة البدء للقوى التى كانت قد تم تعبئتها فى الداخل وتم تمويلها وتسليحها .

وأصبح الوجود والاستقلال السورى مهددا، واتخذ جمال عبد الناصر قراره الثورى بإنزال القوات المصرية على الأرض السورية في حركة سياسية عسكرية بارعة وحاسمة .

وانهار بعد هذا الإجراء الأمل فى إحداث أى انقلاب ، ولقد وضعت القوات المصرية التى وصلت الى سوريا في التوقيت المناسب تماما أسس الوحدة ومبرراتها ، وأدى ذلك الي حالة هيستيرية من التآمر كان لابد أن يوصل الى الوحدة فلم يترك التآمر الداخلى

والخارجى للوحدة أن تتحقق فى ظروف أفضل ، وبمقومات أصح وعلى مدى أطول، كما كان يريد عبد الناصر، فالتاريخ لايسير أبدا كما نتمنى . .

● نحن نعرف الظروف التى قامت فيها الوحدة، ولأن هذه التجربة تظل حتى اليوم موضع اهتمامات ودراسات لانريد أن نخوض فيها، فقد نشر الكثير حولها نريد فقط أن نقف بسرعة على بعض ما حققته هذه الوحدة؟

ـ لقد نجحت الوحدة مع سوريا فى تحقيق الاستقرار الذى لم تنعم به من قبل منذ بدأ تاريخها الحديث بعد الحرب العالمية الأولى ووفرت لها كل المقومات لتقوم بدورها العربى ووكانت مساندتها للقوى الوطنية والديمقراطية فى لبنان حاسمة فى ألا تتحول لبنان الى قاعدة لنظرية أيزنهاور بملء الفراغ، تحت حكم طائفى وساندت القوى الوطنية فى العراق حتى قامت ثورة ٥٨ ، ثم أسقطت حلف بغداد الذى أسقط بالتالى الاستراتيجية الاستعمارية الجديدة فى المنطقة .

واستطاعت سوريا فى ظل الوحدة أن تحقق تغييرات اجتماعية عميقة كانت تتطلع اليها منذ الاستقلال ، ووقف الإقطاع السورى ضدها فقد كانت قوانين يوليو سنة ٦١ تحقيقا لمطالب متراكمة منذ زمن طويل لم يستطع أى حزب سياسى أن يحققها .

وأهم من ذلك كله فإنه رغم كل الصعوبات والتناقضات، أثبتت هذه التجربة أن الوحدة العربية حقيقه وأن أسسها صحيحة، وأن ما تفجره من طاقات العرب بلا حدود، وجسدت حلم الأمة العربية والثورة العربية، لقد خلفت سنوات الوحدة وراءها حلما ذهبيا، كان ومازال يسيطر على خيال سوريا وعلى خيالنا كلنا أيضا .

● ولم تستمر الوحدة ألا مايقرب من ثلاث سنوات، فهل يمكن أن تتحدث عن الانفصال، كيف وقع ، وماهى دوافعه وأسبابه من وجهة نظرك؟

ـ فى رأيى أن الانفصال هو صناعة أجنبية ١٠٠٪ وأنه جاء نتيجة مؤامرات رهيبة واستخدمت فيها أسلحة قذرة وتورطت فيها بعض الأنظمة التى كانت ترى فى الوحدة خطراً عليها فلم تبخل بالمال أو الجهد لتقويض دولة الوحدة، وأنا علي قناعة تامة بأن سبب الانفصال لم يكن الشعب العربى السورى وأنه ـ كما قيل ـ اعتبر حكم جمال عبد الناصر استبداديا أو استعمارا مصريا لسوريا ، لقد استخدم الاستعمار الرجعية

لضرب الوحدة. . مستغلة بعض الأخطاء التى لم تجعل الشعب السورى يكفر بالوحدة، فأسقط الانفصال وعادت هذه الجماهير الى الضغط لإعادة الوحدة وتحت هذا الإلحاح بدأت محادثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣، وأخيرا فإن إسرائيل قد اعترفت بأن أحد أسباب حرب ٦٧ كان للحيلولة دون قيام الوحدة بين مصر وسوريا مرة أخرى.

● **تقول هناك أخطاء وقعت فعلا أدت إلى وقوع الانفصال ، هل يمكن أن نلقى ضوءاً على هذه الأسباب من وجهة نظرك؟**

ـ طبعا كانت هناك قضايا داخلية تمس الأوضاع وآليات الحكم فى كل من سوريا ومصر، هيأت أرضية صالحة لنجاح الانفصاليين. . ولقد كان جمال عبد الناصر مقتنعا منذ البداية أن نسير بخطوات متأنية لتحقيق الوحدة ، وخلال مناقشاته مع السياسيين والعسكريين طرح قضايا صعبة حتى يؤخر الاتفاق مثل إلغاء الأحزاب، ولكن المجلس العسكرى ضغط لقبول هذا الشرط، وقبلة السياسيون وكانت أهم نتيجة لقبول هذا الشرط هو تحمل عبد الناصر مسئولية الحكم بالكامل فى سوريا وبالتالى تحمل أى أخطاء كما تحمل النصيب الأكبر من النقد باعتباره المسئول الأول.

● **هل كان الاعتراض من عبد الناصر وحده وأنه الذى طالب بالتأنى أم كان يؤيده آخرون في ذلك؟**

١ ـ أعضاء الوفد المصرى فى مباحثات الوحدة كانوا جميعا يؤيدون وجهة نظر عبد الناصر إلا عبد الحكيم عامر الذى كان متحمسا للوحدة الشاملة ويؤكد أن كل المصاعب يمكن التغلب عليها.

٢ـ السبب الثانى هو عدم وجود اتصال جغرافى بين سوريا ومصر مما يجعل سيطرة الحكومة المركزية محدود ، خاصة فى حالة قيام ظرف طارىء فى سوريا.

٣ ـ محاولة إبعاد الجيش عن التدخل فى السياسة وهو موضوع شائك ومعقد فى سوريا بالذات فقد كان الضباط السوريون متدخلون فى السياسة للنخاع، وفي كافة نواحى الحياة هناك منذ عام ١٩٤٩.

٤ ـ اكتشف السياسيون ورجال الأحزاب السورية أنهم فقدوا دورهم ونفوذهم السياسى الذى كانوا يتمتعون به قبل الوحدة.

٥ ـ التنظيم السياسى الواحد وهو الاتحاد القومى الذي كان مطبقا فى مصر لم يكن مقبولا من حزب البعث السورى على وجه التحديد، فكان يرى أن يقوم حزب واحد له مفهوم قومى كما كانوا يرون أن من حقهم وحدهم تولى الحكم فى سوريا وكانت القوى السياسية غير البعثية ترفض ذلك وقد اعتبرت نتيجة انتخابات الاتحاد القومى فى سوريا هزيمة للبعث وانتصارا لعبد الحميد السراج.

٦ ـ كان صعبا إتمام توحيد القوانين بين مصر وسوريا خاصة التى تحكم تنقل الأفراد والتجارة و إزالة الحواجز بين الإقليمين بما ترتب عليها أن تحكمت البيروقراطية فى تنظيم التعاملات وأدت الى تهيئة المناخ للشعور بالإحباط ومهد لأرضية خصبة لانتشار الإشاعات ضد الوحدة التى تركزت بالدرجة الأولى حول عدد من المسائل فى مقدمتها :ـ

ـ تهجير مليون فلاح مصرى لمنطقة الجزيرة . . و فى الحقيقة أنه لم يكن هناك أية خطة على أى مستوى رسمى لإتمام تهجير فلاح مصرى واحد لسوريا، إلا أن كبار الملاك هم الذين أطلقوا هذه الإشاعة.

ـ الهيمنة على الجيش السورى بضباط مصريين. . والحقيقة كانت أنه من أجل تحقيق الاندماج الكامل بين الجيش السورى المصرى فقد تقرر إيفاد عدد من الضباط المصريين للعمل فى دمشق ونقل عدد من الضباط السوريين للعمل فى القاهرة.

وكان من رأى المجلس العسكرى فى بداية محادثات الوحدة أن أول إجراء لابد من اتخاذه هو دمج الجيشين عند قيام الوحدة . . الأمر الذى لم يؤخذ به خوفاً من حدوث هزة فى القوات المسلحة يترتب عليها نوع من فقدان التوازن.

والأمر الغريب أنه عندما كان جمال عبد الناصر يتوجه الى دمشق كانت هذه الشائعات تذوب وتتبخر ، ويعود الصراع على السلطة الى الظهور علي سطح الأحداث بعد ذلك، ومن هنا قرر عبد الناصر أن يوفد عبد الحكيم عامر باعتباره قائدا عاما للقوات المسلحة الى دمشق للعمل على حل المشاكل التى تواجه الحكم، ولم يستطع عبد الحكيم عامر السيطرة او احتواء الصراع على السلطة فبدأت سلسلة من الاستقالات وتحالف حزب البعث مع باقى القوى السياسية الأخرى فى مهاجمة عبد

الحميد السراج باعتباره العقبة في سيطرتهم على الأوضاع ، ومما زاد في حدة الصراع أن الإجراءات الأمنية التى كان يضطر لاتخاذها كانت تلهب الموقف الذى كان يصور بأنه حكم بوليسى.

● **ماهو دور القرارات الاشتراكية فى الانفصال؟**

ــ القرارات الاشتراكية فى يوليو ٦١ طبقت على سوريا و مصر فى نفس الوقت لأنه لم يكن منطقيا أبدا أنه فى ظل وحدة اندماجية تطبق القوانين في إقليم دون الآخر، وكانت الأوضاع الاجتماعية متباينة في الإقليمين وبالذات فى قطاع التجارة فقد كانت التجارة فى مصر فى أيد غير مصرية بالدرجة الأولى، بينما كان المجتمع السورى قائما أساسا على التجارة.

● **الموقف هنا أن حزب البعث خرج من الحكم وأصبح معارضا وباقى الجماعات السياسية فقدت نفوذها السياسى والمالى بسبب تحديد الملكية أو التأميم . وكانوا جميعا ضد الوحدة؟**

ــ نعم انضم إليهم الضباط السوريون الذين استقالوا من مناصبهم الوزارية، وخلت السلطة من أية قوة تدافع عن القوانين الاشتراكية . وكانت الخطوة الأخيرة التى حسمت الأمور في اتجاه الانفصال هى إيفاد عبد الحكيم عامر إلى دمشق لحسم الأمور بدلا من تكليف السراج بذلك ــ فقد عين السراج نائبا لرئيس الجمهورية على أن يكون مقره القاهرة، واتخذ عبد الناصر هذا القرار حماية للسراج ودرءاً للحملة العنيفة عليه، ولكن السراج اعتبر القرار موجها ضده، ومما جعله يصر على هذا المفهوم صدور قرار بدمج إدارتى المخابرات فى الإقليمين، وترتب عليه نقل بعض عناصر المخابرات السورية للقاهرة.

فتقدم السراج باستقالته . ولقد حاول الرئيس عبد الناصر أن يشرح له نواياه وأفكاره إلا أن المسائل كانت قد أخذت شكلا حديا لدرجة أن السراج فكر في الانتحار في فندق شبرد بالقاهرة بعد محاولة منى شخصيا بتكليف من الرئيس عبد الناصر لإفهامه حقيقة الأمور فى جلسة طويلة بيننا فى فندق شبرد ، وبعد أن تركته راودته فكرة الانتحار.

وفى ٢٨ سبتمبر ٦١ قام عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب عبد الحكيم عامر بانقلاب لم يخرج فى طريقة تنفيذه عن الانقلابات التى قامت فى سوريا من قبل.

وغادر عبد الحكيم عامر دمشق حوالي الساعة ٣ بعد الظهر إلى القاهرة بعد موافقته على طلبات قادة الانقلاب بعد اتصال تليفونى مع الرئيس عبد الناصر عقب البيان رقم ٩ الذى أوحى بأن هدف الانقلاب المحافظة على الوحدة وإجراء إصلاحات فى الجيش ثم صدر البيان الذى ألغى هذا البيان ودعا إلى الانفصال.

وقد أيد صلاح البيطار، وأكرم الحورانى الانفصال، كان عبد الناصر حريصا على الوحدة الوطنية السورية باعتبار أن قوة سوريا هى قوة للأمة العربية ولذلك فقد اتخذ ثلاثة قرارات : ــ

١ ــ عدم رفع سلاح عربى ضد سلاح عربى . وأمر بعودة القوات التى كانت قد أرسلت لسوريا لقمع الانقلاب.

٢ ــ أصدر تعليمات لوفد مصر فى الأمم المتحدة بعدم الاعتراض على قبول سوريا عضوا فى الأمم المتحدة.

٣ــ أصدر تعليمات أخرى بعدم الاعتراض على عودة سوريا للجامعة العربية.

● **كانت هذه رؤية صريحة لأسباب الانقلاب الداخلية، تضمنت حتى نقدا لما قامت به مصر ولكن هناك جانباً آخر اجنبياً كان له التأثير الحاسم فى إحداث الانفصال؟**

ــ طبعا كانت هناك أصابع أجنبية تلعب لفصم هذه الوحدة خوفا من المد الوحدوى الذى كان سيحدث تأثيرا فى المنطقة العربية كلها ، ويؤدى الى تغييرات فيها، ويحول دون قيام إسرائيل بتحقيق أهدافها التوسعية.

وهناك معلومات مؤكدة ولها شهود عيان أحياء ، تفيد بأن احدهم كان ساهرا ممسكا التليفون يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وعلى الطرف الآخر من الخط فى دمشق حيدر الكزبرى ويتلقى التعليمات ويطلب تنفيذ الاتفاق بإرسال الدعم المالى الذى وصل فى نفس الليله عن طريق بيروت وقدره مليون ليرة سورية حملها أحد أقارب حيدر الكزبرى . كما أن

الملك سعود اعترف للرئيس عبد الناصر بأنه دفع ١٢ مليون جنيه استرليني لانفصال سوريا عن مصر، ثم ما صدر أخيرا من كتب أجنبية يحوى الكثير من التفاصيل التى تكشف التآمر الأجنبى لتحقيق جريمة الانفصال، ولم تكن الموساد بعيدة عن المسرح .

● أى أن الوحدة تعرضت لتآمر خارجى و عربى، وداخلى من اليمين ومن اليسار أيضا؟

ـ كل من اليمين السورى واليسار السورى، وجد في التغيرات الاجتماعية التى حققتها الوحدة خطرا عليه أشد من الاستعمار الأجنبى، وفضلا عن ذلك التحالف اليسارى السورى بجميع فصائله لم يدرك الأولويات ولم يستطيع أن يتبين الفرق بين التناقضات الأساسية، والتناقضات الثانوية، بدليل أنه أيد الانفصال، وهذا لا يعنى أنه لم تكن هناك أخطاء ولكن رأيى الشخصى أن هذه الأخطاء لم تكن وحدها هى سبب الانفصال ، فلم يثبت أن الوحدة مرفوضة من الشارع العربى السورى بدليل أن الانفصال لم يدم أكثر من عامين لتعود سوريا تحت الحاح الشارع لطلب الوحدة، كما سقط النظام الذى أسقط الانفصال حينما لم يستطع أن يحقق الوحدة ، وقام نظام عمل على عودة الأوضاع الطبيعية بين مصر وسوريا . ولقد شهدت سوريا ٧ انقلابات عسكرية خلال تسع سنوات بدأت بالانفصال . .

● تحدثت عن دور عبد الحميد السراج، وهناك قضية هامة تختص به لم تكشف الستار عنها ، هى أنه بعد الانفصال ألقى القبض عليه ، وأودع سجن المزة تحت حراسة مشددة، ومع ذلك فقد هرب، وجاء الى القاهرة ومعلوماتى أنك شخصيا كان لك دور فى تهريب عبد الحميد السراج من سجنه في دمشق، ووصوله إلى القاهرة .

ـ كانت قد وصلت معلومات مؤكدة للرئيس جمال عبد الناصر تفيد أن عبد الحميد السراج يتعرض في سجن المزه بدمشق لأبشع أنواع التعذيب وأن السيدة حرمه تكاد تفقد بصرها أو فقدته .

ووفاء من جمال عبد الناصر لمن عمل معه ، ومهما كانت الظروف ، فقد طلب الرئيس إعداد مشروع خطة لتهريب عبد الحميد السراج من سجنه الى القاهرة، وخلال

أربعة أيام كانت الخطة جاهزة ، وكان قد تم الاتصال ببعض الأصدقاء في بيروت ودمشق وعمان، للإعداد ولبحث إمكانية التنفيذ بنجاح .

كانت أمام الرئيس خطتان تبادليتان، اطلق على الأولى «العملية جمال» والثانية « س ش » وقد روعى فى العملية «جمال» البساطه وعدم التعقيد وتقليل عدد الأشخاص بقدر الإمكان وكانت تقوم على أربعة محاور:

١ ــ معرفة الوضع تفصيلا داخل السجن وترشيح عنصر أو عناصر يمكن الاتصال بهم من داخل السجن ، وذلك عن طريق الاتصال بعبد الحميد السراج .

٢ ــ دراسة خطوط السير من خارج السجن حتى الحدود اللبنانية .

٣ ــ تأمين وجود السراج فى لبنان .

٤ ــ التوجه للقاهرة بالطائرة أو بحرا للاسكندرية أو بور سعيد .

أما العملية الثاني « س ش » فتقوم على : -

١ ــ اقتحام سجن المزة بعناصر فدائية سورية لاختطاف عبد الحميد السراج .

٢ ــ الهرب به إما إلى الأردن حتى ميناء العقبة فالساحل المصرى ، أو الى لبنان ومنها جوا إلى القاهرة أو بحرا للإسكندرية أو بورسعيد .

وتمت دراسة تفصيلية للعمليتين بما فيها استطلاع خط السير على الأرض فى سوريا ولبنان والأردن ، وتم الاتفاق مع أحد المساعدين الذين كانوا يتولون حراسة السراج فى السجن، وكذلك تم الاتصال وترتيب طاقم للحماية وترتيب وسائل الانتقال فى دمشق ولبنان والأردن .

● هل درس الموقف الرسمى لهذه الدول؟

ـ استقر الرأى على أن تنفذ الخطة الأولى «جمال» ، بدأ جس نبض السلطات العليا فى لبنان ممثلة في اللواء فؤاد شهاب، وكان الرجل إيجابيا، ولكنه طلب فقط البعد عن توريط السلطات اللبنانية فى نتائج قد تضر بأمن وسلامة لبنان .

وقد قمت بزيارة خاصة الى لبنان لمقابلة الرئيس شهاب، وللإشراف على تنفيذ

الخطة ، وحملت رسالة الرئيس جمال عبد الناصر للرئيس شهاب تقول «إن كل حبة رمل فى أرض لبنان الشقيق رمال مصرية نحافظ عليها بأرواحنا »

وكانت هذه الرسالة كافية لإعطائنا الضوء الأخضر للعمل من خلال الأراضى اللبنانية، الذى رؤى أنه أفضل، لأن العمل من خلال الأراضى الأردنية كان سيتم بدون علم السلطات نظرا لطبيعة العلاقات غير المستقرة بين مصر والأردن فى ذلك الوقت، ولتفادى مجازر لاداعي لها ، ومن ناحية أخرى حماية لعناصر قومية شريفة كانت ستتولى تأمين المسيرة وتوفير وسائل الانتقال على مسئوليتهم الخاصه وقد يكون فى ذلك محاصرة بالنسبة لهم .

● هل طبقت الخطة كما هى أم أنه حدثت تعديلات عليها؟

ـ أدخل الرئيس جمال عبد الناصر عددا من التعديلات :

الاتصال بالمساعد منصور رواشدة (حارس السراج في السجن) شخصيا لتأمين بدء العملية وضمان قيامة بالمساعدة الإيجابية الفعالة فى تهريب السراج من باب السجن حتى مشارف دمشق .

ـ إعادة دراسة طبيعة الأرض وخطوط الاقتراب من دمشق حتى الحدود اللبنانية السورية بما فى ذلك كل الطرق والوسائل التبادلية فى النقل من الخيل والجمال والموتوسيكلات والسيارات وأدلة السير، مع تفادى نقاط التفتيش بما فيها اللبنانية منعا للحرج .

ـ استخدام الرسائل فى نقل التعليمات أو أية تعديلات بدلا من استخدام اللاسلكى أو الشفرة والتى قد تتعرض للكسر.

ـ ترتيب تواجد غواصة مصرية أمام سواحل بيروت في اتجاه مبنى السفارة المصرية .

ـ يتولى قيادة الطائرة المصرية التى ستصل بيروت لنقل السراج للقاهرة الكابتن عبد الرحمن عليش رحمة الله عليه .

ـ مجموعة العمل تتكون من سامى شرف، منير حافظ ، محمد نسيم، محمد المصرى، على أن يبقى منير حفاظ فى القاهرة ويتواجد الثلاثة الآخرون فى بيروت،

ويترك لسامى شرف حرية الاتصال بالسلطات اللبنانية حسب تقديره للموقف وأذكر بأن هذه الخطة هى التى أطلق عليها اسم «جمال» .

● كيف بدأ تنفيذ هذه الخطة ، وهل شاركت فيها عناصر أخرى؟

ـ كانت الاتصالات مع منصور رواشدة مستمرة ومؤمنه بمعرفة الزعيم اللبنانى الكبير كمال جنبلاط واللواء شوكت شقير، وعندما اكتملت الصورة وتأكدنا من نجاح التنفيذ كان أحد المندوبين قد وصل إلى دمشق ، واتفق مع منصور على التنفيذ فى اليوم والساعه ، وكان هو الذى سيتولى فى نفس الوقت تأمين خروج السراج من دمشق حتى الحدود اللبنانية ، وكان لديه تلقين كامل عن الطرق والطرق التبادلية التى سيسلكها، وقد نصح بأن يتبع أصعب الطرق وأبعدها عن التصديق أن يسلكها إنسان أو دابة، وفعلا فقد استخدمت البغال والخيل والجمال فى رحلة الهرب رغم أن ذلك سيطيل مدة التعرض وبالتالى ستطول مدة انتظارنا وأيضا تلف أعصابنا ، وكان مقدرا أن العملية ستستغرق بين ٢٦ ساعة و٣٢ ساعة أو أكثر قليلاً لو كانت هناك عوائق، وانتقل محمد نسيم ومحمد المصرى ومن معهما من رجال الزعيم كمال جنبلاط إلى نقاط معينة على الحدود السورية اللبنانية .

وكنت أنا في بيروت بالاتفاق والتنسيق مع الرجل الشريف «سامى الخطيب» وزير داخلية لبنان الحالى بتعليمات من الرئيس فؤاد شهاب في انتظار وصول السراج لمشارف بيروت فى نقطة متفق عليها من قبل .

● ما هو دور السفارة المصرية فى بيروت؟

ـ كان الاتفاق مع سفيرنا فى لبنان عبد الحميد غالب وأعضاء السفارة أن يكونوا جميعا طبيعيين فى تصرفاتهم وتحركاتهم ، ولا يبدو وكأن هناك شيئا غير عادى يتصل بهم، حتى لا نلفت الأنظار أكثر مما هى عليه بالنسبة لسفارتنا التى كانت محط أنظار كافة القوى فى ذلك الوقت .

المهم . . وصل عبد الحميد السراج ومعه حارسه فى السجن «منصور رواشدة» ، وكان في استقباله الزعيم كمال جنبلاط الذي اصطحبهما فى سيارته الكاديلاك السوداء الخاصة الى منزل محمد نسيم فى بيروت ــ كان من ضمن الترتيبات استخدام شقق آمنة

كمواقع تبادلية لإقامة السراج فيها، ولكن بناء على اقتراح الأخ محمد نسيم اتفق على أن يقيم السراج فى منزله إمعانا فى التصرف الطبيعى الذى لا يلفت الأنظار ــ وبمجرد وصول السراج لمنزل محمد نسيم تمت علمية تغيير لملامحه بشعر مستعار وشوارب.

وقد قمت بعد ذلك بزيارة الرئيس فؤاد شهاب بصحبة السفير عبد الحميد غالب حيث أبلغته بوصول السراج الى بيروت وأن المخطط هو سفره الى القاهرة فى أسرع وقت حتى لانسبب حرجا للسلطات اللبنانية، وأطلعناه على خطة المرحلة التالية.

وقد استجاب الرئيس شهاب ، وأمر بأن يكون كلُ من أحمد الحاج، مدير مكتبه وسامى الخطيب تحت تصرفنا وتنفيذ جميع مطالبنا واحتياجاتنا، التى لم تكن سوى سيارة جيب وملابس عسكرية لبنانية.

قام سامى الخطيب بقيادة السيارة بنفسه في طريقه الى مطار بيروت من منافذ خلفية غير مطروقه وكان يجلس بجواره محمد نسيم وفى الخلف جلس السراج وسامى شرف ومحمـد المصرى ومنصور رواشدة وكلنا مرتدين ملابس عسكرية لبنانية مازلت أحتفظ بها للآن، وكنا نبدو كإحدى دوريات الأمن، واخترقت سيارتنا سور المطار من ثغرة أعدت على عجل دون أن تبدو ملحوظه ، أى كانت مموهة ووصلت السيارة مدرج المكان مباشرة حيث وصلتها في نفس اللحظة الطائرة المصرية التى تحمل الصحافة المصرية الى بيروت يوميا وبعدما أفرغت حمولتها اتجهت الى نهاية المدرج حيث أبلغ قائدها برج المراقبة أن هناك عطلا مفاجئا فى الطائرة وفتح بابها وأسقط سلمها من داخلها.

تم تنفيذ المتفق عليه تماما بدون معوقات أو مفاجآت ودخلنا الطائرة، ومن الطريف أننا عندما دخلنا الطائرة وجلسنا فى مقاعدنا تقدم منا مضيف الطائرة يحمل أكواب عصير.

هل تعرف من كان هذا المضيف؟

كان الأخ والزميل عبد المجيد فريد ، وكان الرئيس قد أمره أن يتوجه الى بيروت مع الطائرة عند إقلاعها من مطار القاهرة..

وأقلعت بنا الطائرة المصرية وعليها عبد الحميد السراج ، ومنصور رواشدة، ، محمد المصرى، وأنا.

و نظرنا الى بيروت، ساطعة وهى هادئة تنام.. نظرة كلها حب وتقدير.. وغرق كل منا في أفكاره ، وذكريات أيام صعبة عشناها قبل أن تشق بنا الطائرة السماء، وأضواء النهار تتأهب لتملأ الدنيا.. ووصلت الى مطار القاهرة.. كانت الساعة تقترب من السابعة صباحا..

وكان في استقبالنا زغلول كامل وكيل المخابرات العامة وبعض أفراد من مكتبى، وتوجهنا الى أحد قصور الضيافة التابعة لرئاسة الجمهورية فى مصر الجديدة وقمت على الفور بالاتصال بالرئيس وأبلغته بنجاح المهمة ووصولنا.

طلب الرئيس جمال عبد الناصر أن نتوجه والسيد عبد الحميد السراج وأنا الى منشية البكرى فورا لتناول الإفطار معه.

● وكيف أعلن عن هروب عبد المحميد السراج ووصوله الى القاهرة؟

ــ طرح هذا الأمر.. ولكَن الرئيس طلب أنْ يترك له الأمر، ليعلنه كما يرى..

وفى اليوم التالى نشر خبر صغير من ثلاث سطور فى الصفحة الأولى بجريدة الأهرام عنوانه «عبد الناصر يستقبل عبد الحميد السراج»، وتفاصيله بالنص :

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر أمس بمنزله بمنشية الكبرى السيد عبد الحميد السراج.. فقط لاغير.



الرئيس مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات

١٤ جمال عبد الناصر

القضية الفلسطينية

لايحتاج موقف جمال عبد الناصر من القضية الفلسطينية الى إيضاح . . وهذا الجزء من الحوار لايهدف الى إلقاء أى ضوء على علاقة جمال عبد الناصر بالقضية الفلسطينية . . ولكن المعنى منه بالدرجة الأولى الحديث عن اللقاءات السرية بين عبد الناصر والمنظمات الفلسطينية . . . وأيضا الأزمة التى تفجرت بينه وبين بعض الفصائل الفلسطينية بعد قبوله مبادرة روجرز . . وأيضا بعض التفاصيل التى لم تنشر من قبل حول وقائع أيلول الأسود . والاقتتال الذى دار فى عمان بين الفلسطينين والأردنيين ، وهو الاقتتال الذى دعى الى عقد مؤتمر القمة العربى الأخير الذى عقد بالقاهرة . . جاء ياسر عرفات . . وجاءه الملك حسين . ماهى ظروف كل ذلك . .

● **لانريد أن نتحدث كثيراً حول علاقة عبد الناصر بالقضية الفلسطينية فذلك أمر نعرفه جميعا . . ولكننا نريد أن نتخلص من مرحلة الكلام النظرى إلى الوقائع . .**

ــ فى البداية لابد من مقدمة صغيرة ضرورية نقول من خلالها إن عبدالناصر أحب شعب فلسطين كما لم يحب أى شعب آخر ، وقد بادله الشعب الفلسطينى حباً بحب أكبر.

لقد قاتل عبد الناصر مع الشعب الفلسطينى عام ٤٨ وأصيب بالجراح ، وتولدت بينه وبين الفلسطينيين علاقة وجدانية غريبة وعميقة تبلورت فى ثقة لا حدود لها بينه وبين الفرد الفلسطينى العادى وتحولت هذه العلاقه الى بركان فجرته ثورة ٢٣ يوليو لتجسد مولد الثورة العربية الكبرى فى العصر الحديث وظلت فلسطين طابعا مميزا لمسيرته حتي انتهت حياته لفلسطين أيضا .

ولقد ميزت العلاقه بين الرجل وبين الثوره الفلسطينيه علامات تتجسد فى روح شابة

مشبعه بالأمل واليقين ظلت تمر بها قوى الثورة الفلسطينيه سواء كانت هذه القوى جماهير عاديه أو قوى منظمة وحماية معنوية ومساعدات ماديه بلا حدود لتعيد تأسيس وطنها الفلسطينى وحتى تتأكد من ممارسه هذا الوطن لدوره العربى والإبقاء على التلاحم بين الشعب العربى فى مصر والشعب العربى الفلسطينى ومقاومة أى محاوله تهدف الى عزلهما عن بعضهما .

● لايشك أحد فى أن القضية الفلسطينية كانت فى وجدان وفكر جمال عبد الناصر ؟

ـ نعم عاشت القضية الفلسطينية فى فكره ووجدانه طالباً وضابطاً وثائراً ، وأدرك منذ صباه وشبابه أن المخطط الاستعمارى والصهيونى يبدأ بفلسطين ثم يثنى بالعدوان على باقى البلاد العربية لتحقيق أمل الصهيونية فى إنشاء دولة إسرائيل الكبرى من النيل للفرات، ولعلك تذكر أنه عندما كتب عن صباه فى فلسفة الثورة تحدث عن وعد بلفور، وبداية التفكير الصهيونى فى فلسطين، لقد كان يعتبر دائما أن القضية الفلسطينية هى قضية مصرية .

إن مايحدث على الأرض العربية فى فلسطين ممكن أن يحدث لأى بلد فى المنطقه مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تتحكم الآن .

كان يقول : كل مايحدث هناك ممكن ان يحدث لابنتى أولابني خالد .

كان عبد الناصر مدركا تماما أن المعركة تبدأ بالجوله الأولى بالثورة الكبرى لاقتلاع الأنظمة الفاسدة فكانت ثورة ٢٣ يوليو التى وضعت القضية الفلسطينية فى مكانها الصحيح ضمن نضال الأمة العربيه وفى صدر حقيقة الصراع العربى الاستعمارى الصهيونى . .

ثم تحمل جمال عبد الناصر مسئولياته التاريخية فى دعم حركات التحرر انطلاقا من مفهوم أن وحدة النضال لاتتجزأ ولم يكتف بالدعم المادى للقضية الفلسطينية بل حرص على أن يقدم كل الدعم السياسى بوضع الطريق لانتزاع اعتراف العالم بها ثم بشرعيتها وبالتالى بأنه لا شرعيه للوجود الإسرائيلى . .

وكان محور سياسة جمال عبد الناصرفى القضيه الفلسطينيه تمثل بالتالى خطاً

استراتيجياً أكبر يحقق للعالم الثالث ـ ممثلا فى حركات فى التحرر ـ الشخصية المستقلة القادرة على إقامة التوازن الدولى من أجل رفاهية البشرية . .

وفى الوقت ذاته كان جمال عبد الناصر مؤمنا عن يقين أن بناء القوة العربية الذاتية الشاملة هو الطريق الوحيد لعودة الحق الذى اغتصب من الشعب العربى ومن هنا فكان يدرك أن مشكلة اسرائيل تتصل اتصالا وثيقا بأوضاعنا الداخلية وكان يرى أن التخلف هو الشىء الوحيد الذى يضمن لإسرائيل البقاء على أرضنا ، وأن الخطر الإسرائيلى سوف يتلاشى حتى قبل المعركه الفاصلة إذا تمكنت الأمة العربيه من أن تطرح نفسها أو أن تقضى على التخلف الذى فرض علينا وأننا مع كل تغيير يزيد من القوه العربيه من أجل المعركة وضد أى صراع شخصى أو طائفى أو فكرى لايكون من شأنه أن يضيف الى المعركه وإنما يأخذ منها .

لعل من أبرز الظواهر مرحله العلاقات منها بعد يونيو ٦٧ حيث بدأت منظمات المقاومة الفلسطينيه فى وقت كانت عوامل اليأس موجودة وهذه أبرزت حقيقة وجود الكيان الفلسطينى فى ظروف كان العدو يتصور فيها أنه قضى على كل ذكر لفلسطين . .

وتجسدت هذه الظاهرة فى اصرار الرجل على التزامه التزاماً كاملا بتقديم كل مساعدة للعمل الفدائى الفلسطينى . و كان دائماً يعتبر أن النضال الفلسطينى بعدسنه٦٧ علامة تحول كبيرة فى الموقف العربى كله كما أنه لم يكن من قبيل الصدف أن الاتفاقات التى عقدت بين المقاومة الفلسطينية والدول العربية قد تمت فى القاهره وبإشرافها وبرعايه جمال عبد الناصر(لبنان والأردن)

● ماهى علاقة عبد الناصر بالمنظمات الفلسطينية؟

ـ لم يفكر عبد الناصر قط فى اى وقت من الأوقات أن يضع وصاية على المنظمات الفلسطينيه بل إنه أول من أعلن أن الشعب الفلسطينى وحده هو الذى يقرر حقه فى تقرير مصيره، وقد قال «لأبو عمار» لقد حرقت دمى لكى أحافظ عليكم وكان أسهل الأشياء بالنسبه لى أن أصدر بيانا إنشائيا قويا أعلن فيه تأييدى لكم ثم أعطيكم محطه إذاعه تقولون فيها ماتشاءون وأريح نفسى وأجلس لأتفرج . لكن بضميرى وبالمسئوليه

لم أقبل ذلك . إن موقفى منذ اللحظه الأولى كان من أجلكم . . من أجل حمايتكم من أجل حمايه الناس الذين لاذنب لهم والذين هم الان قتلى لايجدون من يدفنهم وجرحى لايجدون من يعالجهم ، وبين الأنقاض وأطفال ونساء يبحثون فى يأس عن أبسط حق للإنسان وهو حق الأمن على حياته .

وقد قال لأبو عمار : « إن الله قد كتب عليه أن يحمل هموم العرب كلهم وخطاياهم أيضاً » .

● ماهى المنظمات التى كانت تتعامل بشكل مباشر مع جمال عبد الناصر؟

ـ فتح والجبهة الشعبية (ومن قبل حركة القوميين العرب)والجبهة العربية وباقى المنظمات والتى بلغ عددها حوالى٣٨ منظمة فى يوم من الأيام كانت العلاقات بينها غير مباشرة وبالواسطه عن طريق إحدى الجهات الثلاثة السابقة .

● كان يدعم هذه المنظمات؟

ـ دعماً مادياً بكافة صوره وأشكاله ، ودعماً فى التدريب ، ودعماً معنوياً وسياسياً واعلامياً ، بما فيها تخصيص موجات إذاعية .

● كيف كان يتم التعامل مع هذه المنظمات؟

ـ أما مباشرة مع جمال عبد الناصر أو من خلالى . وفيما يتعلق بالنواحى العسكرية كان من خلال القيادة العامة للقوات المسلحة بتعليمات محددة وواضحة من الرئيس جمال عبد الناصر.

● تطورت العلاقات بين جمال عبد الناصر والمنظمات الفلسطينية بعد سنه١٩٦٧ ، فى أى اتجاه وكيف تم ذلك؟

ـ كانت المنظمات الفلسطينيه داخل الأردن قد نمت نموا سريعا وشمل تنظيمها السياسى والشعبى جبهات متعدده ومنظمات كثيرة . أهمها وأكبرها جبهه التحرير الفلسطينية «فتح» وجناحها العسكرى« العاصفة» والجبهة الشعبية الديمقراطيه«نايف حواتمة» والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين «جورج حبش» وفلسين العربية (أحمد زعرور) والنضال الشعبى . وآخرون .

هذه المنظمات لم تكن تضمها قيادة عسكريه موحدة . الأمر الذى أدى إلى بروز خلافات وخلط فى المهام وأصبحت هذه المنظمات تشكل تجمعاً بشرياً ضخماً وطابعاً معنوياً أكثر منه تجمعاً قتالياً مؤثراً . وممازاد فى الخلاف أن بعض الأنظمه والأحزاب العربية جذبت إليها منظمة أو جماعه تحت ستار التسليح أو التدريب أو الدعم المالى بينما أصبحت فى الحقيقة موالية لها وبذلك فقدت المنظمات وحدة العمل السياسى والعسكرى ، و هذه المنظمات على اختلافاتها اتفقت على نقطتين . .

الأولى ـ استقلالية العمل الفدائى وسلبية هذا الاتفاق أن المقاومة اعتمدت على تكتل بشرى دون التركيز على القدره القتاليه .

الثانية ـ الأردن هو ساحة العمل الفدائى الوحيده ضد إسرائيل .

وكانت «فتح» أكبر هذه المنظمات ترى عدم البدء والتصادم مع السلطه فى الأردن وكانت الجبهه الشعبيه ترى انطلاق الثوره الفلسطينية كى تتخذ كل الأراضى العربيه قاعده انطلاق لمناهضة الامبريالية والصهيونية العالمية حتى يتحقق تحرير الأرض وكانت الجبهة الديمقراطية ترى زيادة قدرات المقاومه تمهيداً للسيطرة على الحكم فى عمان .

● وماذا كان موقف مصر ورؤيتها؟

ـ مصر كان خطها الاستراتيجى هو المحافظة على حركه المقاومة الفلسطينية وتفادى الصدام مع السلطة الشرعية فى لبنان وعمان .

وكانت مبادرة عبد الناصر سنه٦٨ باصطحاب أبوعمار على طائرته إلى موسكو ونتج عنها إمداد المنظمة بالسلاح كما مهدت للاتصالات السياسية والتأمين السياسى العالمى بعد ذلك .

● وفتحت معسكرات التدريب؟

ـ نعم وكان عبد الناصر يرى أن استعادة الضفة الغربية والقدس عملية صعبة ويجب أن يبدأ العمل فيها من الداخل حتى لاتتعرض للتهويد . . .

● ماذا كان موقف الأردن؟

ـ بدأ يقاوم أعمال التسلل والقصف عبر نهر الأردن وبدأ فى اعتقال الفدائيين

ومصادرة أسلحتهم وكان يرى أن القضية الفلسطينية هى قضية الأردن وبالتالى فلا يصح لفئات أوجماعات تدعى العمل الفدائى أن تمزق وحدة الدولة . وبدأت المقاومة في إنشاء قواعد ومعسكرات لها داخل الأردن ، كما قامت بتدريب وتسليح عناصرها تمهيدا لانطلاقها فى أعمال فدائية من داخل هذه القواعد بعيدا عن المدن الأردنيه وعن نظر وعلم السلطات .

ولعل معركة الكرامة (٢١/٣/٦٨) دليل على قدره المقاومة الفلسطينيه .

فقد تم قتال بالدبابات نتج عنه ٢٩ قتيلا إسرائيليا و٩٥ جريحاً مما ترتب عليها انضمام أعداد كبيرة من المتطوعين لدعم العمل الفدائى .

واستمرت الغارات عامى ٦٨، ٦٩ دفعت المعنويات الفلسطينيه وكان هناك حذر أردنى و إجراءات مضادة خوفا من أن يتحول الأمر إلي حرب، وبدأ اقتحام المعسكرات بواسطة قوات البدو ووقعت ضحايا من الجانبين .

ولولا تدخل عبد الناصر فى ذلك الوقت وإقناع الملك حسين بعدم ضرب المقاومة لكانت الأمور تطورت للأسوأ.

قامت المقاومة بعدد من الحوادث و بإنشاء ميلشيات خاصه وقيادة الكفاح المسلح وتنظيم الجماهير فى شكل نقابات واتحادات بهدف تأمينها سياسيا مما جعل للمقاومة هيبة محلية فى مواجهة السلطات الأردنية .

وعلى الجانب الآخر قام الأردن بإنشاء قوات المقاومة الشعبية (قوات أمن خاصة) دعما لسلطات الأمن الداخلى ثم صدر قرار مجلس الوزراء بتقييد حركة المقاومة ومنه حمل السلاح داخل المدن أوتخزين متفجرات وكذلك منع الاجتماعات والتظاهرات بالنسبة للفلسطينيين فقط . واعترضت قياده الكفاح المسلح الفلسطينية على هذه القررات واستدعت الميليشات الشعبية التى سارت فى شوارع عمان والمدن الأخرى بسلاحها ترفع شعارات عدائية للسلطة .

وكان يقود هذه الحركات الجبهه الشعبية والديمقراطية .

● **ماذا كان رد فعل السلطات الأردنية؟**

ـ قابلت هذه الحركات بحصار عمان بالقوات المسلحه الأردنية فى فبراير سنه ٧٠ ولما

شعرت المقاومة بجدية التصفية سارعت الى طلب تدخل الرؤساء العرب ، وتدخ الرؤساء العرب واستجاب الأردن وفك الحصار ولكن المقاومة اعتبرت فى هذا التراج انتصاراً لها وقامت برفع شعارات ضده .

● **وأدى ذلك الى تصعيد جديد فى الأزمه؟**

ـ نعم فى يونيه سنه٧٠ طوقت القوات المسلحه الأردنية عمان مرة ثانيه وقصفت مواقع العاصفة التابعه لفتح ودمرت منازل ومعسكرات في عمان والزرقاء وسقط ضحاي كثيرون .

فردت المقاومة باحتلال فندق او اثنين فى عمان واحتجزت أكثر من ٥٠ رهينه أجنبي واستولت على مكاتب وكالة الغوث .

ومرة ثالثة تدخل عبد الناصر لدى الملك حسين لوقف إطلاق النار بين الجانبين باعتبار أن فتح بالذات هى أهم الظواهر الصحية فى النضال فى ذلك الوقت ، كم استنكر عبد الناصر فى نفس الوقت أخطاء بعض الفصائل الأخرى .

وقبل الملك حسين للمره الثالثة وقف إطلاق النار بشروط المقاومة كما أعفى القائد العام وقائد المدرعات من منصبيهما وشكل لجنة تحقيق من الطرفين ودوريات ونقط مشتركه فى عمان .

● **وجاء الملك حسين الى القاهرة؟**

ـ قدر عبد الناصر أن هذه الحلول مؤقته لأن أسباب التوتر مازالت قائمة فدعا الى لقاءات فى القاهرة منفرده للملك حسين والمنظمة ، وفعلا حضر الملك للإسكندرية فى ٢٠ أغسطس سنه ٧٠ وكان أهم ماقاله لجمال عبد الناصر أنه منزعج من تصرفات المقاومة ضد السلطات الأردنية، وأيضا أنه واقع تحت ضغوط كبيرة من الجيش الأردنى بضرورة تصفية المقاومة .

وقد رد عبد الناصر بأن شرح له كيف عالج موضوع رفض منظمة التحرير لمشروع وقف إطلاق النار المحدود وطلب أن يقوم بمعالجة الموقف بأسلوب العمل السياسى ونصحه بألا يهاجمهم ولايعمل ضدهم لأن المستفيد فى هذه الحالة هو إسرائيل كما طالب

الملك بالصبر حتى يمكن حسم الأمور رغم وجود بعض المتطرفين من المقاومة الذين لايهمهم إلا أثارة المواقف .

ووعد الملك حسين بان سيصبر إلا أنه قال إن للصبر حدوداً حيث إن وجود المنظمات الفلسطينية على أرضنا قد نقل إلينا كل التناقضات العربية .

● ماهو منطق جمال عبد الناصر وراء مطلب التهدئة؟

ـ كان منطق عبد الناصر فى التهدئه مبنياً على أنه إذا قضى على المقاومة فسيكون ذلك خطيراً ومؤثراً على قدرات وفاعليه الجبهه الشرقيه وأيضا على الموقف الاستراتيجى فى المنطقه العربيه كلها وكان أيضا من رأى جمال عبد الناصر أنه لايمكن التخلى عن المقارمة الفلسطينية باعتبارها ركيزة نشيطة ضد العدو وفى نفس الوقت فإن عبد الناصر لم يكن يريد إحراج الملك حسين مقدراً موقفه سنه ٦٧ .

● وجاء أبوعمار أيضا الى القاهرة؟

ـ نعم فى ٢٤ أغسطس سنه ٧٠ ، وكان أهم ماركز عليه الشكوى من الإجراءات التعسفيه من جانب الملك حسين . ولكن جمال عبد الناصر شرح له الموقف بأن الملك حسين يستطيع أن يضرب المقاومة ويصفيها بالجيس الأردنى إذا وقع صدام بين الطرفين . وقد أمن أبوعمار علي هذه النقطة وقال عبد الناصر إن المستفيد من الصراع هو العدو، وأن مصر ترى معركه التحرير لن تبدأ إلا بعد الانتهاء تماما من الاستعداد لها بحيث يكون توقيت المعركة من صنع العرب على الجبهات الثلاثة معا ، وقد سأل الرئيس عبد الناصر الأخ أبوعمار عما إذا كان فى مقدور المقاومة وحدها أن تحرر الضفة والقدس وكانت إجابه أبوعمار : ولابعد ٣٠ سنه .

وكانت هذه الإجابه مدخلا لإقناع أبوعمار بضرورة التنسيق مع الملك حسين ، وفيما بعد فقد ذكر جمال عبد الناصر للاخوه الفلسطينيين أنه ليس لديه أقل من نصف فى المائة للوصول الى التسوية الشامله وإعاده الحقوق الفلسطينيه عن طريق الحل الدبلوماسى ، وان قبول مصر لمشروع وقف إطلاق النار المحدود ليس إلا موافقه تكتيكية الغرض منها كسب وقت هادىء لاستكمال استعداد القوات المسلحة المصرية للمعركة .

● وماذا كانت نتيجة هذا اللقاء؟

ـ اقتنع أبو عمار ولكنه لم يستطع إقناع باقي المنظمات بمنطق القاهرة فقد استمرت المعارضه لمصر ولعبد الناصر وبالذات من الجبهه الشعبيه ، وهوجم الملك حسين وعبد الناصر معاً ثم تطورت الأحداث بشكل عنيف . فمثلا عقدت ندوات فى عمان خلال الأسبوع الأول من سبتمبر سنه ٧٠ رددت فيها شعارات ضد مشروع وقف إطلاق النار المحدود وضد الملك حسين مطالبة الشعوب العربية بالثورة لتحرير فلسطين وكانت تقع اشتباكات يومية استفزازية متبادلة بين السلطات الأردنيه والمقاومة ووزعت القوات المسلحة الأردنية على مراكز تستطيع منها أن تسيطر على المعسكرات والتجمعات الفلسطينية .

وفى يوم ٦/ ٩ خطفت الجبهة الشعبية ٣ طائرات أجنبيه : اثنتان فى صحراء الأردن والثالثة فى القاهرة ونسفت بعد إخلائهامن الركاب، وفى نفس اليوم فشلت محاوله اختطاف طائرة إسرائيليه فى مطار لندن ، واحتفظت الجبهة الشعبية بأكثرمن ٢٠٠ رهينة .

وفى يوم ٩/ ٩/ ٧٠ اختطفت طائرة ركاب بريطانية من مطار بيروت . وأصبح عدد الرهائن ٣٥٠ أو أكثر، ونقلت النساء والأطفال إلي فندق في عمان وباقى الرهائن نقلوا لأماكن متفرقة .

وفى يوم ١١/ ٩ فجرت الطائرات الثلاث فى صحراء الأردن وقد أعلن الأخ أبوعمار تنديده بتصرفات الجبهة الشعبية وأعلن استبعاد الجبهة الشعبية من إطار العمل الفلسطينى . وعلى ذلك فقد باتت هيبة الحكم فى عمان وقدرته على السيطرة فى خطر .

● ماذا كان موقف القوى الأجنبية وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الأحداث؟

ـ مارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطها علي المجتمع الأوربي لعدم الاستجابة لمطالب المقاومة .

وصرح نيكسون بأنه إذا دعت الحاجة فإن الولايات المتحدة ستقوم بالتدخل العسكري في الوقت المناسب، وكانت الولايات المتحدة تقوم بالضغط على الأردن

لتصفية المقاومة كشرط مسبق لفتح أى حوار ، وامتنعت أمريكا عن تسليح الجيش الأردنى كما أظهرت للملك حسين عواقب نمو المقاومة وزيادة فاعليتها وقدرتها القتاليه وأثر ذلك من احتمال انهيار حكمه .

وفيما بعد اتضح أنه كانت هناك ترتيبات أمريكيه إسرائيلية لعمليات جوية وبحرية للتدخل فى الوقت المناسب لتصفية المقاومة . كما اتضح أيضا أن كيسينجر كان قد اقترح على نيكسون أن تقوم القاذفات الأمريكيه بقصف مواقع المقاومة الفلسطينيه فى الأردن ، ولم يتم تنفيذ هذه العمليات بدعوى رداءة الطقس بالمنطقة .

● وكيف تطورت الأحداث بعد ذلك ؟

ـ شكلت حكومة عسكرية أردنية فى منتصف سبتمبر وبدأت بوادر جرب أهلية وبادر أبو عمار بمناشدة القاده العرب للمساعدة فاستجابت دمشق ودفعت بلواء مدرع يوم ١٨/ ٩/ ٧٠ داخل الأراضى الأردنية ، بالرغم من تحذيرات الرئيس جمال من خطورة توسيع الصراع الأردني الفلسطيني باعتباره صراعاً داخلياً . إلا أن القوات السورية تقدمت حتي مدينه إربد ووصلتها يوم ٢١/ ٩/ ٧٠ وقام الملك حسين بطلب تدخل القوات الأمريكية بمساعدة جوية فقط وحذر من أي تدخل بري إسرائيلى فى الأردن وقد أخطر كسينجر إسرائيل بمطلب الملك حسين فقامت برفع درجات الاستعداد للقوات الإسرائيليه وقامت بتحريك قوات مدرعة في اتجاه الأردن علنا وأبدت إسرائيل استعدادها للتعاون مع الولايات المتحده الأمريكيه فى ردع سوريا وتصفية المقاومة الفلسطينية في الأردن .

وعلي الجانب الآخر قام جمال عبد الناصر الذي كان متابعا للأزمه لحظة بلحظة فأوفد رئيس الأركان المصرى الفريق محمد أحمد صادق إلى عمان للبحث على إيقاف القتال . كما بعث بثلاثه برقيات في خلال ٢٤ ساعه للملك حسين حثه فيها على ضرورة الالتزام بإيقاف إطلاق النيران . وتم فى الوقت نفسه تحريك وحشد قوات بحرية وجوية أمريكية فى شرق البحر المتوسط .

وإزاء هذا الموقف لم ير عبد الناصر بداً من الدعوة لعقد مؤتمر قمة عاجل فى القاهرة يوم ٢١/ ٩/ ٧٠ كما بعث للقيادة السورية برسالة عاجلة تحذر من خطوره التدخل

العسكري فى الأدرن وتدعوها لسحب قواتها من الآردن لكى لا تعطى للولايات المتحدة المبرر للتدخل في الأزمة .

وفعلا تم عقد المؤتمر القمة فى فندق هيلتون بالقاهرة وبعث المؤتمر بوفد يرأسه جعفر نميرى رئيس السودان الى عمان ليعمل على تهدئة الموقف وعاد الوفد يوم ٢٣/ ٩ وقد دارت مناقشات حادة داخل قاعه المؤتمر تبلورت عن اقتراح بإيفاد قوات من ليبيا والعراق وسوريا للدفاع عن المقاومة . إلا أن الرئيس عبد الناصر كان يرى أن هذا الإجراء يزيد من اشتعال الموقف ، ونحن نسعى للتهدئة فقرر المؤتمر تكليف جعفر نميرى للمرة الثانية بالتوجة الى عمان ومعه الوزراء العرب والفريق محمد أحمد صادق حيث وصلوا عمان يوم ٢٤/ ٩/ ٧٠ وعاد الوفد وبصحبتهم الأخ أبو عمار باعتباره رمز المقاومة من ناحيه ومن ناحيه أخرى لتفادى النيل منه فى عمان ، كانت عملية تهريب لصالح القضية ولتحقيق مصلحة عامة قومية .

● ماذا دار في مؤتمر القمة العربي الأخير قبل وفاة عبد الناصر؟

ـ شرح نميرى وأبوعمار الوضع في عمان وأرسلت برقية أخرى من الرؤساءالى الملك حسين تتضمن رفض المؤتمر لاستمرار القتال ، والمطالبة بإيقاف إطلاق النار فورا . واتصل الملك حسين بالرئيس جمال عبد الناصر طالباً حضوره للقاهره ليوضح موقفه أمام الملوك والرؤساء . وفى نفس الوقت قدم محمد داود رئيس وزراء الأردن ــ وكان يحضر المؤتمر ممثلا لعمان ــ استقالته أثناء وجوده بالقاهرة .

وبعد أن هيأ الرئيس عبد الناصر الأجواء داخل المؤتمر لتقبل حضور الملك حسين ــ حيث كانت غالبية الحاضرين تتخذ موقفاً ضد تصرفات السلطات الأردنيه ــ وأخطر الملك حسين بأنه يمكنه الحضور، وفعلا وصل صباح ٢٧/ ٩/ ٧٠ حيث استقبله جمال عبد الناصر وصحبه الى فندق الهيلتون وبعد مناقشات وساعات من التوتر اتفق فى الساعه الخامسة مساء على إيقاف إطلاق النيران فورا في جميع المواقع فى الأردن وانسحاب الجيش الأردنى وعناصر المقاومة من كافه المدن الأردنيه قبل غروب نفس اليوم . مع تكليف لجنة برئاسه الباهى الأدغم من تونس بالتوجه للأردن لمتابعة تنفيذ قرار القمة العربية .

ولعل أبرز درس فى هذه القضية أن جمال عبد الناصر قد تجاوز موقف الرفض والمعارضة من جانب المنظمات الفلسطينية لسياسة مصر وحارب من أجل المحافظة على تماسك الموقف القومى محافظاً أيضا على التمسك بالخط الاستراتيجى العام فى المواجهة مع اسرائيل .

والدرس الهام الثانى هو ثبوت أن المزايدة والمراهقة السياسية تضر ولاتفيد ـــ لقد خسرت المقاومة الفلسطينيه معركه فى أهم موقع استراتيجى لها بالمواجهة العربية كما تفككت مقومات الجبهة الشرقية العربية العسكرية .

كان جمال عبد الناصر يقول لنا إن الطريق الوحيد أمامنا رغم كل شىء هو المحافظة على حقوق شعب فلسطين وأن لا تتخلى عن هذه الحقوق ، هذا هو أساس القضية ، ولايمكن أن نقبل السلام بمعنى الاستسلام ولايمكن برعم النكسة وبرغم احتلال سيناء أن نتخلي عن حقوق شعب فلسطين . . ولا أن نيأس . . أو نكفر بأهدافنا . . ولا أن نفقد ثقتنا بأنفسنا أو بأمتنا العربية أو بشعبنا العربى . . . لقد خسرنا معركة ٥ يونيه لكني أقول لكم إنه ليس هناك جيش فى العالم كسب كل المعارك مادام يحمل أبناؤه فى نفوسهم العزم والتصميم والإيمان، المهم . . هل خسارة معركة يكون دافعا للاستسلام .

كانت هذه الصدمة و هذه الهزيمة العسكرية دافعا الي الصمود وإذا كنا خسرنا معركه فإننا لم نخسر إرادتنا رغم مافقدناه من معدات ورغم غدر العدو وخبثه ومساندة أعوانه وتأمين الاستعمار له .



الرئيس مع أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب فى عيد العلم ٦٥

١٥ جمال عبد الناصر

أم كلثوم .. عبد الوهاب .. عبد الحليم

الآن. . انتهينا مـن الحوار السياسى حول عبد الناصر، وسوف ننتقل إلى موضوعات أخرى، بعد انتهاء فترة عبد الناصر.

وقبل أن نترك سنوات عبد الناصر نقف مع سامى شرف حول بعض القضايا الإنسانية. .

موقف عبد الناصر من الثروة، موقفه من الفن، وغير ذلك من القضايا. .

بالنسبة للمال مثلاً كان سؤالى الأول لسامى شرف. .

● ماذا كان موقف جمال عبد الناصر من الثروة؟

ــ بداية، كان جمال عبد الناصر رافضا للترف. . غير قابل للفساد، شرساً فى مقاومته. . كان عفيفا ومتطلباته الدنيوية محدودة للغاية.

لم يرث ولم يورث أولاده وكان يرفض الثروة، ويرى أن التملك لا يتمشى مع وضعه ولا مع مسئوليته عن التحول الاجتماعى، فالتملك فى رأيه لا حدود له . . . فإذا تملك الإنسان يشعر دائما برغبة فى الزيادة . . . وأخيرا فكان يرى أن التملك يؤثر على رؤيته الاجتماعية فى إذابة الفوارق بين الطبقات.

جمال عبد الناصر لم يستمتع بمجده ولا بعظمته. . لم يعرف لذه للحياة، ولم يكن ينام إلا الساعات القليلة لمدة ثمانية عشر عاما متصلة، لم يكن يشاهد أولاده وعائلته الصغيرة بالمعنى المتعارف عليه مثل باقى الناس.

● ماذا كان يأكل الرجل؟

ــ إفطاره قطعة من الجبن الأبيض ــ شريحة من الطماطم والخيار والجرجير، فى بعض الأحيان يفطر بيضة مقلية واحدة.

غداؤه قطعة من اللحم وملعقتان أرز وطبق من الخضروات والفاكهة الموجودة فى الأسواق .

عشاؤه وهو يشاهد فيلما سينمائيا فى منزله ، لا يخرج كثيرا عن افطاره ، وقد يزيد عليه كوباً من الزبادى .

● وتعليمات الأطباء ؟

ــ لم يكن ينفذ تعليمات أطبائه إلا لمدة يومين أوثلاثة على الأكثر وكان يدخن بين ٤٠ و ٥٠ سيجارة يوميا تنوعت من كرافن إلى L. M الى كنت حتى امتنع عن التدخين سنة ١٩٦٩ بعد إصابته بأول أزمة قلبية بناء على رأى الأطباء .

● والهدايا . . قيل إن أحسن هدية تقدم لجمال عبد الناصر كانت كرافتة ؟

ــ نادرا ما تقبل الرجل هدايا ويشهد الساسة والأثرياء العرب أنه قد ردت إليهم هداياهم بأسلوب رقيق ــ كان فعلا يقبل كرافتة مثلا من صديق يعتز به أو ولاعة سجاير . . وكان كثيرا مايعطيها لأحد من معاونيه أو زملائه .

السيجار مثلا الذى كان يرسل إليه كهدية عيد الميلاد من كوبا كان من نصيب الأستاذ محمد حسنين هيكل .

التفاح أو البشملة التى كانت تقدم من زعماء لبنان وأصدقائه كانت توزع علينا . جمال عبد الناصر كان ضعيفا إزاء الوفاء . . وكان ضعيفا أمام كل من قام بدور وطنى أو قومى . . كان ضعيفا أمام رغبات الضباط الأحرار .

كان قلبه كبيرا يلين بشكل ملفت للنظر ويصفح عن خطأ ارتكبه شخص أدى فى يوم مادوره بشرف وبأمانة .

لم يتملك فى دنياه سوى اثنى عشر بدلة وستة أحذية ومجموعة من الكرافتات المقلمة وسيارته الأوستن القديمة ظل محتفظاً بها .

كان جمال عبد الناصر ليل نهار . . يعمل ولا شىء غير العمل . . سوى القراءة .

● وعلاقته بالفن ؟

ــ كان يختلس أوقاتا لمشاهدة فيلم سينمائى أو يستمع للموسيقى الكلاسيكية أو

لشريط عليه أغنية لأم كلثوم وحتى هوايته فى التصوير السينمائى أو الفوتوغرافى لم يكن لديه الوقت الكافى لممارستها إلا لأيام قليلة خلال شهر أغسطس من كل عام على شاطىء المعمورة بالإسكندرية .

● هل كان الرئيس يخرج فى جولات حرة وحده ؟ لقد قال لى ذلك محمد أحمد وتوقفت طويلا عند هذه المعلومة الجديدة ؟

ــ كثيراً ما كان يخرج وحده ، وأذكر أننى كنت أتلفت خلال الزجاج الذى أرى منه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وتلتقط عينى سيارة نصر ١١٠٠ تسير تحت نافذة مكتبى يقودها جمال عبد الناصر وحده ومتجهة خارج المنطقة بلا حراسة .

اتصلت بالمكتب الخاص للاستعلام عن تحركات طارئة لم أخطر بها فكان الرد من الضابط المناوب أن سيادة الرئيس أخذ سيارة خاصة عادية وأمر بألا تخرج معه حراسة ولا سكرتارية ولا تخطر جهات الأمن المعنية بهذا التحرك .

شىء غريب لم يحدث من قبل . وظللت أضرب أخماسا فى أسداس ولم أستطع فى نفس الوقت أن أتصل بالرئيس لأن مثل هذه السيارات لم تكن مزودة بجهاز لاسلكى مثل باقى السيارات .

مرت ساعتان ونصف تقريبا و إذا بالتليفون يدق وعلى الطرف الآخر الرئيس يطمئنى مقدرا ماعانيته خلال هذه الفترة بكلمات رقيقة حانية قائلا : عارف أنا كنت فين ؟ كنت مع الناس .

هذا اليوم كان يوم شم النسيم ــ طبعا لم نكن نعرف خلال ثمانية عشر عاما شيئاً اسمه أجازة أو راحة عن رضا وقناعة .

قلت : ناس مين يا فندم .

قال : كنت مع الناس فى الشارع . . أنا طلعت من هنا على مصر الجديدة ومنها على شبرا و نزلت البلد ومنها على حديقة الحيوان ورجعت من ميدان التحرير فالعتبة فشارع الجيش فالعباسية فمنشية البكرى . .

وأضاف : شفت الولاد والبنات وهم يلعبون وشفت الآباء والأمهات وهم يشاركون

أبناءهم فى الفرحة والبهجة فى هذا اليوم. لم يكن هذا كل ماقاله جمال عبد الناصر عن هذه الجولة بل قال الكثير عن ملاحظاته حول مايراه فى الشارع فقد كان يحب أن يرى بنفسه، وكانت له جولات منفردة أغلبها فى أيام الأعياد . عندما عاد من هذه الجولة قال لى جمال عبد الناصر:

اكتب ما سأمليه عليك لتتخذ القرارات المناسبة :

١ ــ الطابع الغالب على ألوان الملابس هى الألوان الزاهية ولكن ليست بالدرجات المتنوعة الكافية . ينبه إلى ذلك شركات إنتاج الأقمشة .

٢ ــ بعض الحدائق مغلقة وكان الواجب أن تفتح جميع الحدائق العامة فى مثل هذا اليوم .

٣ ــ المساكن الشعبية فى منطقة الزيتون والمطرية تحتاج لدهان وإصلاح شبكات الصرف الصحى .

٤ ــ وسائل النقل العام ليست كافية .

٥ ــ بعض الطرق فى الأحياء الشعبية ليست مرصوفة بطريقة سليمة ــ حدد أسماء الشوارع والأحياء .

٦ ــ الشرطة فى بعض المناطق تحتك بالجماهير بطريقة لا تليق بآدميتهم وخصوصا مع الباعة الجائلين .

٧ ــ المراكب النيلية تكتظ بالناس مما يعرض أرواحهم للخطر .

هذه أمثلة من كثير وعديد من الملاحظات التى لمسها أثناء جولته فى شوارع القاهرة فى يوم شم النسيم وليس هذا هو المهم إنما الأهم هو مافاجأنى به بعد ذلك إذ قال ضاحكا :

تصور يا سامى وأنا واقف فى إشارة شارع مصر والسودان عرفنى الناس فالتفوا حول السيارة (وبدأوا فى الهتاف لى) واستفسرت منهم عن أحوالهم المعيشية واستمعت إلى شكاواهم ، وعايز تكلم الوزراء كل فيما يخصه حول أهم هذه الشكاوى .

١ ــ وزير التربية والتعليم عن الكتب المدرسية ورداءة طبعها .

٢ ــ وزير التموين عن رغيف العيش ــ وهذا الموضوع له قصص كثيرة .

٣ ــ وزير التموين للاهتمام بجودة صناعة الأحذية المدرسية والعادية والصنادل للبنات والأولاد وأسعارها .

٤ ــ وزير المواصلات لمد خطوط جديدة لأحياء محرومة من المواصلات (حددها) وغيرهم من المسئولين المعنيين عن مسائل تمس احتياجات المواطن اليومية .

تكررت هذه الجولات الحرة فى الأعياد وتكررت فى شم النسيم سنة بعد سنة ، وكانت هناك عملية تقييم ومقارنات بين مايراه ويلمسه عاما بعد عام .

● أعتقد أن لديك كثيراً من الحكايات الإنسانية حول جمال عبد الناصر، ولا نريد أن نستغرق الوقت فى هذه الحكايات ، فهدفنا عرض قضايا سياسية بالدرجة الأولى ولكن ذلك لا يمنع من أن نمر على بعض هذه الوقائع سريعاً؟

ــ ذات مرة سألنى جمال عبد الناصر تليفونيا . .

احنا بنتعب علشان مين . . أنا مش فاهم حاجة أبدا من اللى بيحصل ده .

قلت : خير يا فندم

قال : ازاى ابن يرفض قبول أوراقه فى كلية الشرطة وما هى الأسباب . عايز اعرف حالا الأسباب والمبررات التى رفضت بناء عليها أوراق هذا الطالب . تكلم شعراوى جمعه دلوقت وترد علىّ فورا .

قلت : حاضر

طلبت الأخ الكريم شعراوى وقلت ماهى الأسباب . فطلب إمهاله فرصة ليبحث ويرد علىّ . وبعد ذلك رد علىّ شعراوى : الحقيقة يا سامى الولد مستوفى الشروط ولائق طبيا لكن اعترض على قبول أوراقه لأن أبيه سائق سيارة مع أنه مساعد فى الشرطة .

طلبت الرئيس وأبلغته ماذكره المرحوم شعراوى جمعه فقال الرئيس :

ــ احنا بنقول تكافؤ الفرص ومجانية التعليم ، يعنى كلام فى الهواء ولا يطبق ، وكيف

يقبل شعراوى مثل هذا الاعتراض ، وهو وزير الداخلية لابن من أبناء وزارته ــ بلغ شعراوى أن تقبل أوراقه فورا وإذا كانت هناك حالات أخرى متشابهة ومستوفاة شروط القبول ، فتقبل كذلك ، وكلمنى عندما يتم هذا وعايز اعرف كام واحد كان مرفوض طلباتهم وماهى الاسباب .

طبعا بلغت الأخ شعراوى بتعليمات الرئيس وكانت هناك ثلاثة حالات أخرى مشابهة فقبلت أوراقهم وكان لهم شرف الانتماء لأسرة الشرطة المصرية العريقة وأصبحوا من كبار رجالها الناجحين والحمد لله .

وكثيرا كانت الخطابات الشخصية أو قدوم بعض ذوى الحاجات من الفقراء بمنشية البكرى يطلبون ويشرحون ظروفهم المعيشية والأسرية وكان هناك مكتب للرئيس جمال عبد الناصر للشئون الداخلية . إلى جوار مكتب الشكاوى وكانت حصيلة أنشطة هذين المكتبين تدون فى تقرير أسبوعى يعرض على الرئيس ضمن الأفضليات من المواضيع لأنها كانت بشكل ما تمثل نبض الجماهير.

كانت هذه الرسائل أغلبها يخاطب الناس فيها جمال عبد الناصر مباشرة بتلقائية ومصداقية يبثون إليه متاعبهم وشكاواهم ــ وكثيرا ماطلب الرئيس أن يطلع على أصول هذه الرسائل كما وردت من أصحابها ــ وكان جمال عبد الناصر بحسه يلتقط ويضع إصبعه على تلك الرسائل خصوصا التى كانت تمس شريحة من المواطنين ويطلب بحث المشكلة المثارة ويصدر قراراته بحلها إن أمكن إداريا أو إصدار قرارات أو تشريعات يكون من شأنها حل مشكلة لها صفة العمومية .

أما المسائل الشخصية والحالات الفردية فكانت تبحث بواسطة الجهات المعنية وتدرس كل حالة على حدة ، ومن تثبت أحقيته كان عبد الناصر يصدر التوجيهات باستدعاء صاحب الشكوى ويناقشه فيها والعمل على حلها ، مع المتابعة التى كانت جزءا هاما من أسلوب تعامله سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الأفراد . وكثيرا ماكانت النوتة الخاصة به تحوى ملخص الموضوع وتاريخ إصدار قراره بشأنه . ونكلف كلاً فى اختصاصه بالمتابعة الشخصية . وفى بعض الأحيان كانت المعوقات البيروقراطية والروتينية تقف حائلا دون الحل السريع فكانت المتابعة تتم للمرة الثانية والثالثة .

وأذكر هنا على سبيل المثال حالتين :

الحالة الأولى يمثلها شاب خريج كلية الزراعة قسم البساتين وهو من أفقر الأحياء والده كان يعمل طورشجى فى السيدة زينب ــ سأمسك عن ذكر اسمه لأنه يشغل الآن منصباً هاماً ــ هذا الشاب حضر للمكتب وطلب مقابلة الرئيس فقابلته وشرح لى مشكلته التى تتلخص فى أنه لا يستطيع أن ينتظر الدور لتعيينه بواسطة القوى العاملة ولما حاولت أن أشرح له أن هذه مسألة عامة وتخضع لمبدأ تكافؤ الفرص قال لى هذا الشاب إن لكل قاعدة استثناء واستثنائى يقوم على سوء وضع العائلة الاجتماعى التي تتكون من أب طورشجى أصبح عاجزا عن القيام بأعباء الأسرة لكبر سنه وأم وأربعة أخوات فى سن الزواج ــ وقال لى هل يمكن أن تجد له عملا فى نادى الشمس ــ وكان فى طور الإنشاء ــ إلى أن يحل عليه الدور فى التعيين . وعين فعلا هذا الشاب فى نادى الشمس كمشرف على إنشاء الحدائق . وقد كان فعلا مثالا يحتذى به ومازال حتى الآن .

وحالة أخرى لها طابع العمومية تخص إحدى السيدات العرب حيث كانت لها مشاكل مع جهاز الحراسة نتيجة خطأ فى التنفيذ ولم يكن بيدها ــ وكانت البيروقراطية وجمود اللوائح والروتين تقف حجره عثرة فى سبيل استردادها لحقوقها المشروعة .

لجأت هذه السيدة إلى بمنشية البكرى وعرضت مشكلتها التى وضعت تحت أنظار الرئيس الذى أمر كتابة بأن تسترد حقوقها مرة أخرى ، وقفت اللوائح دون تنفيذ تأشيرة لجمال عبد الناصر الذى أصر ــ وفق أسلوب المتابعة الذى كان يتبع ــ على ضرورة وضع الأمور فى نصابها لرد حق المظلوم ــ صاحبة هذه القضية مازالت تعيش فى مصر حتى اليوم . .

● ننتقل إلى علاقة جمال عبد الناصر بأسرته الصغيرة . . أى بالعائلة بمعناها الأضيق . . والده، وأخوته .

لقد تعرضنا من قبل سريعاً لبعض وقائع هذه العلاقة، ولكننا لا يمكن أن نتحدث عن مواقف جمال عبد الناصر الإنسانية دون أن نتعرض لموقفه من والده وأخوته . .

ــ كان جمال عبد الناصر يكن احتراما شديدا لوالده، ولا يرد له طلبا بشرط ألا يكون

متجاوزا الحق والعدل وألا يطلب استثناء، وهو ماحرص والده بعد أن عرف الأمر الابتعاد عنه، المرة الوحيدة التى عارض فيها والده كانت عندما أحيل الحاج عبد الناصر حسين إلى المعاش عرض عليه المرحوم عبد اللطيف أبو رجيلة ــ المليونير المصرى المعروف ــ أن يعينه عضوا فى أحد مجالس إدارة شركاته بمرتب كبير . وعندما تحدث الحاج عبد الناصر حسين مع الرئيس جمال عبد الناصر حول هذا العرض، رفضه الرئيس بلا مناقشة وقال للسيد الوالد :

ياوالدى دول عايزينك فى مجلس إدارة . . طيب أفهم ازاى ده يتم وانت مش خبير فى النقل والمواصلات . . دول عاوزين يشترونى من خلالك .

وكان الحاج عبد الناصر حسين يستخدم المواصلات العادية فى جميع تنقلاته وقد حاول أكثر من مرة أن يشترى سيارة ــ بواسطة جمال عبد الناصر ــ ولكن كان رد الرئيس دائما . . لما ينصلح حالنا وحال البلد نبقى نتكلم فى هذا الموضوع .

وفى سنة ١٩٥٨ اشترى له الرئيس جمال سيارة «نصر ١٣٠٠» وبالتقسيط، ودفع جمال عبد الناصر الأقساط وكان يقول للوالد الحاج عبد الناصر حسين ولأخوته حول الزواج والمصاهرة العبارة التالية :

«أنا ماعنديش مانع تناسبوا أى شخص بس بشرط مايكونش إقطاعى ولاعليه الحراسة ولا اسم من الأسماء الرنانة . . دى محظورات ثلاثة تفهموها كويس»

وعندما تزوجت أخت جمال عبد الناصر الوحيدة فى عام ١٩٦٨، قال الزعيم الخالد جمال عبد الناصر أنه لن يستطيع أن يحضر حفل زواجها، وعندما حضر أفراد العائلة إلى منشية البكرى لمعرفة وجهة نظره فى عدم الحضور قال لهم :

«ما اقدرش أحضر الفرح وكل بيت فى مصر فيه شهيد»

وقد تم حفل زفافها فعلا فى نطاق ضيق ومحدود .

أما مصطفى عبد الناصر، أخو الرئيس عبد الناصر فقد حصل على الثانوية العامة وأراد أن يلتحق بالكلية الحربية، وتصادف أن شرط السن كان لا ينطبق عليه لزيادة عمره بأيام عن المطلوب . رفض جمال عبد الناصر استثناءه من اللوائح والشروط مما

اضطر معه أن يلتحق بكلية الشرطة وتشاء الأقدار أن يرسب فى امتحان كلية الشرطة فى نهاية العام الدراسى وهو أخ لجمال عبد الناصر .

وأذكر أنه قال مرة لشقيقه الليثى :

«أنا ماعنديش مانع أن مستواكم المادى ينمو ويتحسن بس مع نمو المستوى الاقتصادى للبلد كلها وبشرط أن تعتمدوا على نفسكم . . يعنى الناس كلها مستواها ينمو علشان انتم مش مميزين عن بقية الناس وبصراحة شديدة لو حد فيكم فكر انه يستغل اسمى أنا مش حا أرحمه» .

كان عبد الناصر إنسانا مع أسرته، ومع أصدقائه، ومع أعدائه أيضا . . ولم تكن تفوته حتى الأشياء البسيطة التى يصعب أن تلفت نظر الإنسان العادى . .

● **كانت متعة جمال عبد الناصر هى أن يشاهد فيلماً سينمائياً . . فهل كانت له علاقة بالفنانين المصريين عبد الحليم . . أم كلثوم . . عبد الوهاب . . مثلا؟**

ــ كان يحب عبد الحليم حافظ ويعتبره ابناً له .

● **وعلاقته بأم كلثوم؟**

ــ علاقة احترام .

● **كان يتصل بها؟**

ــ كانت أم كلثوم تتصل، عندما يعرض لها فكرة أو رأى أو مشكلة .

وأحيانا كانت تطلب وساطة فى بعض الأمور ولم يرد لها عبد الناصر طلباً أبداً .

● **ومحمد عبد الوهاب؟**

ــ سوف أروى لك قصة وقعت سنة ١٩٦٣ .

اتصل بى الفنان العظيم الراحل محمد عبد الوهاب طالبا لقائى ولما عرضت عليه أن أتوجه إلى منزله للقائه أصر على أن يحضر هو إلى مكتبى .

وبرقة متناهية وحساسية مرهفة تحدث فى حيرة وقلق عن مسألة تعرض لها منذ ثلاثة

شهور ولايعرف كيف يحلها لحساسيتها وعدم رغبته فى خلق مشاكل يرى أنه هو ونحن فى غنى عنها .

ولما استوضحته الأمر قال : كل ماأريده الآن هو أن يكون الرئيس جمال عبد الناصر على علم فقط بما حدث، فلما ألححت عليه فى معرفة تفاصيل مايقلقه حكى القصة وتتلخص فى إيجاز فى أن أحد المسئولين ـ سماه ـ زاره دون موعد سابق وسأله :

ـ أنا عارف أنه يوجد عندك أشرطة نادرة لم تذع من قبل وتحوى أغان نادرة ودندنة خاصة بك لمقطوعات قديمة وجديدة ومشاريع ألحان لم تر النور ـ فهل يمكننى سماعها؟ فقال الأستاذ محمد عبد الوهاب وقد فوجىء بهذا الطلب :

ـ بكل سرور. . اتفضل استمع إليها . .

فقال المسئول السابق . . لا أنا عايز آخذها أستمع إليها فى بيتى .

وأسقط فى يد الرجل المهذب الذى أذعن دون مناقشة وأعطاه هذه التسجيلات النادرة . .

ويستطرد الأستاذ محمد عبد الوهاب قائلا :

ودلوقت مرت شهور ثلاثة ولم أسمع من هذا المسئول كلمة ولم ترد لى هذه التسجيلات وكل ماأريده هو أن تكونوا على علم بما حدث فقط .

وعدت الرجل خيرا ولم أتردد فى إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر بتفاصيل هذه المقابلة وكان رد فعل جمال عبد الناصر . . الغضب .

استدعى الرئيس هذا المسئول واستفسر منه عن هذه المسألة فلم ينكرها فطلب منه أن يقوم من فوره ليحضر هذه التسجيلات الآن، فأحضرها .

سلمنى الرئيس جمال عبد الناصر هذه التسجيلات وكلفنى أن أزور الأستاذ محمد عبد الوهاب لأعيدها إليه مع نصيحة من الرئيس بألا يفرط فى هذه الثروة القومية مرة ثانية .

طلبت الأستاذ محمد عبد الوهاب لأحدد موعداً للقائه وأبلغته بأن لدى أنباء سارة فما كان منه إلا أن قال لى :

ـ حط السماعة وأنا جاى لك حالا . . وحاولت للمرة الثانية ألا يفعل ذلك إلا أنه وضعنى أمام الأمر الواقع قائلا : أنا حاأحط السماعة بعد إذنك . .

سلمت الرجل الأمانة وكان غير مصدقا لما حدث .

كان جمال عبد الناصر قد كلفنى أيضا عند تسليمه شرائطه الثمينة بأن أبلغ الفنان العظيم الراحل عن أمله ـ أى أمل جمال عبد الناصر ـ فى أن يلتقى قمتا الفن فى مصر والعالم العربى فى عمل مشترك ، ونبهنى الرئيس ألا أضغط عند إبداء هذه الرغبة إلا أنه عندما بدأت فى عرض الفكرة على الأستاذ محمد عبد الوهاب قال لى :

قد تنجح وقد تفشل، وأكد أنه يأمل ويحلم بهذا اليوم فعلا . طبعا أبلغت الرئيس جمال عبد الناصر بوجهة نظر محمد عبد الوهاب وجاء عيد العلم ١٩٦٤ حيث كان قد تقرر تكريم الأستاذ محمد عبد الوهاب وسيدة الغناء العربى أم كلثوم وعندما تقدم عبد الوهاب للمنصة قال له الرئيس :

«إمتى حانسمع لحن لك تغنيه السيدة أم كلثوم»

فقال عبد الوهاب : حاضر يا سيادة الرئيس .

ووجه عبد الناصر نفس السؤال لسيدة الغناء العربى فقالت :

يا ريس أنا مستعدة وجاهزة أغنى أى لحن لمحمد .

وكانت «انت عمرى»

وتبعها بعد ذلك لمدة عشر سنوات أغنيات أخرى .

لقد بدأت العلاقة بين جمال عبد الناصر ومحمد عبد الوهاب منذ قيام ثورة يوليو وقد غنى عبد الوهاب بعد لقائه الأول مع جمال عبد الناصر .

« كانت الدنيا ظلاماً قبله

وهو يهدى بخطاه الحائرينا» ـ للشاعر محمود حسن اسماعيل .

ومنذ ١٩٥٤ حتى ١٩٧٠ لم ينقطع عطاء الفنان العظيم لوطنه ولأمته العربية وتعمقت العلاقة بينه وبين جمال عبد الناصر ولعلنا كلنا نذكر مقولة محمد عبد الوهاب :

«فى عيد الثورة ١٩٥٤ غنيت فى حفل عام بعد انقطاع طويل عن الغناء فى الحفلات لكن بعد ذلك قويت العلاقة كثيرا جدا بينى وبين جمال عبد الناصر وأحبنى كثيرا جدا وأحببته كثيرا جدا . . »

وترجم محمد عبد الوهاب حبه لوطنه وإيمانه بعروبته فى الكثير من الأغانى والأناشيد .

وفى يونيه ١٩٦٧ تصادف أنه كان يزور لبنان وحالت ظروف الحرب دون أن يعود إلى القاهرة إلا أنه أبى إلا أن يدلى بصوته فيما حدث حيث قام مع الأخوان رحبانى بتلحين وتوزيع :

طول ما أملى معايا وفى إيديا سلاحى . .

ومن أقوال عبد الناصر التى لا أنساها : لقد استطاع فن محمد عبد الوهاب وفن أم كلثوم أن يجمع العرب من المحيط إلى الخليج .

● **وعلاقته بالكتاب والأدباء؟**

ــ ذات مرة سألنى جمال عبد الناصر: إنت تعرف يوسف إدريس؟

قلت أعرفه كأديب وكاتب لكنى لم أقابله شخصيا .

قال : طيب اتصل به وقابله وبلغه على لسانى الرسالة التالية :

«أنه حرصاً على شخصه الذى يحترمه ويحبه ويقدره ولا يحب أن ينال منه شخص أو اتجاه مريب فإن مجلة «حوار» اللبنانية لا يليق بأن تكون بها صفحات عليها توقيع هذا الإنسان النظيف الشريف يوسف إدريس وأن الرئيس على أتم استعداد لأن يقف بجانبه مهما كانت الظروف»

طلبت من مساعدى منير حافظ ــ باعتباره كان على اتصال بالصديق يوسف إدريس وقت أن كان رقيباً فى روزاليوسف قبل أن يعمل معى . وفعلا تقابلنا فى مكتبى فى اليوم التالى حيث أبلغته رسالة الزعيم الخالد التى كان لها صدى مؤثراً ولكن الصديق يوسف إدريس استفسر منى عن السبب فى رغبة الرئيس فى عدم الكتابة فى هذه المجلة بالذات . فقلت له إن هذه المجلة لها ارتباطات بالمخابرات المركزية الأمريكية . وللحقيقة

فإن يوسف إدريس لم يكن يعلم فعلاً بهذه الصلة المريبة ، الشىء الذى كنا نحن متأكدين منه .

وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى كتب فيها يوسف إدريس مقالا لمجلة حوار بل إنه أعلن رفضه للجائزة التى خصصتها له المجلة بعد أن علم بتوجهاتها المشبوهة . وقد قرر الرئيس أن تمنحه مصر قيمة الجائزة .

يكفى هذا القدر من القضايا الإنسانية حتى لا يغير ذلك من طبيعة هذا الحوار السياسى .



الرئيس و الأخ العقيد معمر القذافى

١٦ جمال عبد الناصر
ثورة الفاتح

سامى شرف

كانت ثورة الفاتح من سبتمبر فى ليبيا حدثا فريدا فى توقيته ومعناه . . فقد جاءت فى ظل ظلام النكسة وفى وقت كان يتردد فيه الكلام الكثير عن فشل المشروع القومى، وانتهائه، وهزيمته . . وكانت ثورة ليبيا بحكم موقعها، وأطروحاتها القومية، دعما للمعركة، وزادا قويا للمشروع القومى مازال يتردد صداه، وكان جمال عبد الناصر يعيش أحداث الثورة الليبية بعد قيامها دقيقة بدقيقة ولحظة بلحظة، . . لأنه كان يدرك جيدا مغزى هذه الثورة، وقيمة ماتمثله . .

عاش سامى شرف أحداث هذه الثورة بكل وقائعها، وسجل أحداثها منذ فجر الفاتح، وحضر لقاءات مع قادتها، وسافر إلى ليبيا مبعوثا من عبد الناصر، وكتب تفاصيل اللقاءات الأربعة التى تمت بين الرئيس وقائد الثورة، ورجالها . .

فى هذا الجزء من الحوار، نتعرض لكثير من التفاصيل لوقائع الثورة الليبية من خلال رؤية مكتب الرئيس جمال عبد الناصر، ليس فقط لأن مانشر عن علاقة الثورة الليبية بالثورة المصرية قليل جدا، ومحدود للغاية، وأن سامى شرف يرفع الستار عن كثير من المعلومات الجديدة التى لم تعرف من قبل . . ليس لهذا السبب وحده يدور هذا الحوار الطويل، ولكن أيضا ومساويا فى الأهمية لأن الثورة الليبية كانت حدثا فريدا وهاما فى تلك المرحلة من حياة الأمة العربية . .

قلت للسيد سامى شرف . .

● هل كان عبد الناصر يعلم بتفاصيل قيام ثورة ليبيا . . وهل كان على اتصال بقياداتها، وبتنظيم الضباط الأحرار الليبى قبل قيام الثورة؟

ــ لا . . لم يكن عبد الناصر على اتصال بهم، ولم يكن يعرف موعد قيام الثورة . . ولا

شيئاً عنها، ففى حوالى السابعة مساء يوم أول سبتمبر ١٩٦٩، أرسلت سفارتنا فى بنغازى برقية عاجلة أمليت لى تليفونيا لأهميتها بأن أحد الضباط الليبيين طلب إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر رسالة باسم قائد الثورة الليبية نصها: «نرجو إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر فورا بنبأ الاستيلاء على السلطة وأن الأوضاع فى جميع أنحاء البلاد مستقرة، وتم إحكام السيطرة عليها لصالح الشعب الليبى والمطلوب دعم وتأمين ج. ع. م العاجل».

● من هو هذا الضابط؟

ـ لم يدلى باسمه للمسئول فى السفارة، لأن السفير كان فى أجازة فى القاهرة، كما أنه رفض أن يضيف شيئاً.

● ماذا كان تصرف الرئيس عندما وصلته هذه الرسالة؟

ـ قمت فورا بإبلاغ الرئيس بالبرقية وفى نفس الوقت طلبت معلومات من السفارة وما تذيعه الإذاعة الليبية ومحاولة معرفة أى تفاصيل أخرى سواء عن الأوضاع أو الأشخاص، وقد كلفنى الرئيس بالاتصال تليفونيا بجميع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا فورا لإبلاغهم بالنبأ، كما طلبت من المخابرات العامة متابعة الموقف والإخطار بأى تطورات، كما طلبت توقعات الجهاز، والمعلومات المتوافرة وأيضا كلفت أجهزة الاستماع لتتبع أية أخبار عن هذا الحدث والإبلاغ عن أى تطورات.

● ماهى الأنباء التى وصلتكم من السفارة هناك، بعد متابعتها للموقف؟

ـ أرسلت سفارتنا فى بنغازى برقية بأن الإذاعة الليبية أذاعت بيانا صادرا عن مجلس الثورة الليبية بأن هدف الثورة هو القضاء على الأوضاع الفاسدة لصالح الشعب الليبى وأن الإذاعة تبث موسيقى عسكرية وأناشيد وطنية.

● كان فى القاهرة عدد من الليبيين الرافضين للنظام الحاكم الفاسد، معظمهم كانوا لاجئين سياسيين تحتضنهم مصر؟

ـ نعم و بالإضافة إلى هؤلاء، تصادف أنه يزور القاهرة بعض الأخوة من جماعة عمر المختار، وقد تم الاتصال بهم جميعا وحضروا الى مكتبى مع الأخ بشير المغيربى للمعاونة

فى تحليل الحدث المفاجىء، كما كلف السيد فتحى الديب بالاتصال بجميع الأخوة السياسين الليبيين الموجودين بالقاهرة للمشاركة فى المتابعة والتحليل وخاصة الضباط الذين وصلوا بعد ٥ يونيو ٦٧، وقد أذيع بعد ذلك بيان بتعيين العقيد سعد الدين أبو شويرب رئيسا للأركان.

● وكيف تابع جمال عبد الناصر الأمور؟

ـ ظل عبد الناصر فى مكتبه يتابع أولا بأول جميع البيانات والبرقيات والمعلومات التى ترد إلينا، وفى حوالى الساعة الحادية عشر من نفس اليوم بعثت سفارتنا فى بنغازى ببرقية تقول ان الضابط نفسه حضر وطلب على لسان قائد الثورة حاجتهم العاجلة لمن يختاره الرئيس جمال عبد الناصر للمعاونة فى مواجهة الموقف لضمان تأمين واستقرار الثورة، وكذلك الرأى فى كيفية مواجهة أى تدخل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا خاصة وأن لهم قواعد عسكرية فى ليبيا.

وقد أمر الرئيس بأن تبلغ هذه البرقية لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومعرفة رأيهم فردا فردا بصفة عاجلة فليس هناك وقت، ثم الدعوة لعقد اجتماع عاجل ولقد أجمع كل الأعضاء بالإضافة إلى السيد محمود رياض وزير الخارجية والفريق فوزى على الموافقة على تأمين هذا النظام الجديد، ولو أن السيد أمين هويدى المشرف على المخابرات العامة فى ذلك الوقت كان من رأيه التريث فى الإعلان عن التأييد مع ميله للموافقة من ناحية المبدأ وذلك حتى تصلنا معلومات أوفر عن القائمين بالانقلاب.

أبلغت الرئيس بنتيجة الاتصالات فاتخذ قراره بإعلان تأييد ج. ع. م لثورة ليبيا الذى أذيع فعلا، وعقد اجتماع فى مكتبى حضره الفريق أول محمد فوزى والأخوة شعراوى جمعه وأمين هويدى لمتابعة تطورات الموقف واتخاذ الإجراءات التنفيذية المترتبة على قرار التأييد، وبناء على أمر الرئيس تم تحريك عناصر من القوات المسلحة والقوات الجوية لمنطقة الحدود الليبية المصرية لتكون تحت تصرف الثورة الليبية، كما بدأ فى إعداد قائمة بالخبرات الأمنية والسياسية والإعلامية والعسكرية، وأعطيت أوامر إنذارية للمرشحين ليكونوا مستعدين للسفر فى خلال ساعتين من صدور الأوامر بذلك، وقد اتفقنا جميعا ومعنا السيد محمود رياض على الشخص الذى يقود هذه المجموعة وكان

الأخ فتحى الديب وقد قابله الرئيس صباح اليوم التالى لأخذ التلقين اللازم حول مهمته.

● **من هم الذين كان عليهم أن يصحبوا فتحى الديب فى أول مهمة إلى ليبيا؟**

ــ كان المرشحون لمرافقته: صلاح السعدني ــ من مكتب القائد العام للقوات المسلحة، والأخ أحمد رشدى وزير الداخلية فيما بعد، وجمال العطيفى وأمين بسيونى.

كما وضعت قائمة تفصيلية بعناصر أخرى لمواجهة أى احتياج فى المستقبل وأبلغت شركة مصر للطيران لإعداد طائرة خاصة تكون جاهزة للإقلاع فى مهمة خاصة خلال ساعة من صدور التعليمات، وكانت قد أعدت شفرة خاصة للاتصال. وعندما كلف الرئيس فتحى الديب بالمهمة حمله رسالة إلى قائد الثورة وقال له:

«يا فتحى أنا اخترتك لهذه المهمة الخطيرة لثقتى الكاملة فيك وأنا عارف أنك تقدر تنجح زى مانجحت مع الأخوة الجزائريين.. سمعة مصر بين يديك ومافيش أمامك غير حل واحد من الاثنين.. ياإما تنجح وتؤمن الثورة الليبية ياإما ــ ضاحكاً ــ أنا هادبحك وتطلع عند سامى تتفقوا على كل حاجة والأمور كلها مرتبة.

قال له الرئيس أن محمد حسنين هيكل سيصحبه وكان الأستاذ هيكل فى الصورة الكاملة للأحداث.

وقال للرئيس أنه يريد عودة هيكل على نفس الطائرة بتقرير عاجل يوضح الصورة الكاملة

وأمر الرئيس أيضاً أن يصحبهم محمد عبد الحليم عبد الرحمن ممثلا لثورة السودان.

وقد أرسلت برقية إلى بنغازى طالبا الإذن بتحليق وهبوط طائرة خاصة تحمل وفدا رسميا يمثل الرئيس جمال عبد الناصر، كما طلبنا ترتيب لقاء الوفد بقائد الثورة باعتباره حاملا رسالة من الرئيس، وغادرت الطائرة مطار القاهرة التاسعة مساء، وكان فى استقبالهم فى بنغازى الأخ مصطفى الخروبى عضو مجلس الثورة، والأخ آدم حواس، اللذين اجتمعا بالوفد المصرى حتى فجر اليوم التالى، ووفقا للمعلومات التى وصلتنا فقد كان أهم مادار فى الاجتماع هو التقدير الكامل من مجلس الثورة لموقف الرئيس جمال

عبد الناصر بسرعة الاعتراف وتأييد للثورة، وأن وصول الوفد المصرى قد جاء فى الوقت المناسب، وأنهم لم يدلوا بأسماء أعضاء مجلس الثورة كإجراء تأمينى، وقالوا أنهم عملوا على طمأنة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على مصالحهم ورعاياهم، وأن الثورة لا تهدف إلا إلى القضاء على الفساد والتخلف الذى فرض على الشعب الليبى، وقد تفهم ممثلو هذه الدول حقيقة الأوضاع.

وقالوا إن تعيين سعد الدين أبو شويرب لا يرتبط بالثورة، بل هو رد اعتبار له، وقد شرحوا كيف تم تنظيم الضباط الوحدويين الأحرار وتطوره حتى قيام الثورة، وأن التنظيم يقوده الملازم أول معمر القذافى الذى بدأ تجميع الضباط الأحرار منذ عام ١٩٦٤، وأنهم كانوا ينوون القيام بالثورة فى يوليو ١٩٦٨، وحالت الظروف دون ذلك لاعتبارات داخلية، وتحددت تواريخ ٢٤ مارس سنة ٦٩، و٥ يونيه ١٩٦٩ إلا أنه لم يمكن التنفيذ لأسباب منها إبعاد عدد من الضباط إلى بعثات فى الخارج.

● **كيف التقى الوفد المصرى بقائد الثورة الليبية لأول مرة؟**

ــ صباح ٤ سبتمبر ١٩٦٩ حضر إلى مقر السفارة فى بنغازى ثلاثة من الضباط الليبيين هم مصطفى الخروبى وآدم حواس ضباط برتبة الملازم أول الملازم أول معمر القذافى قائد الثورة ورئيس مجلس قيادة الثورة.

قام فتحى الديب بتسليم الأخ معمر القذافى قائد الثورة رسالة جمال عبد الناصر وأبلغه أيضا بالرسالة الشفوية التى أبدى فيها استعداد مصر لتقديم كافة إمكانياتها بلا حدود للثورة الليبية.

وتحدث الأخ معمر القذافى قائد الثورة لأول مرة وشرح تفاصيل ماحدث قائلا:

ــ إن مجلس الثورة يتكون من الضباط الشباب، وأنه وزملاؤه يوافقون على ضرورة تقديم كافة المساعدات الى ج. ع. م وألا يأخذوا منها، وأن شعب ليبيا مطمئن لمبادىء ثورته الناصرية، وركز فى حديثه على نقطة الوحدة العربية الفورية، باعتبارها مطلباً ملحاً وأنه وزملاؤه بالرغم من احتمالات تحفظات مصر ــ ولها الحق ــ إلا أنهم مصرون على ضرورة الوحدة الفورية، وأنها يمكن أن تتحقق دون إعلانها بصفة رسمية عن طريق توحيد التعليم، وتبادل الخبرات، والتعاون الوثيق فى كافة المجالات، وأنهى

حديثه بأن ماأبداه من آراء لن تعلن على الأقل فى الوقت الحاضر وأنه أراد أن تكون تحت أنظار جمال عبد الناصر.

● ماهو موقف باقى الدول العربية من الثورة الليبية ؟

ـ لا شك أنها كانت موضع ترحيب الشعب العربى فى كل مكان، فقد جاءت فى وقت لتعطى أملا قويا نابضا بقوة المد القومى وسلامة اتجاهه، على أنه ، إلى جانب الفرحة الشعبية والتأييد الجماهيرى ، فقد حدثت ثلاث محاولات استقطاب فى اتجاهات مختلفة . .

ـ الأولى بدأت قبل نهاية أسبوع من بداية الثورة، فقد التقطت أجهزة التصنت الجوية إشارة تفيد قيام طائرة عراقية خاصة من بغداد فى اتجاه بنغازى ، وتم إبلاغ السلطات فى بنغازى بهذه المعلومة، واتضح أن هذه الطائرات تحمل صالح مهدى عماش وزير الدفاع العراقى، يصحبه وفد يضم صدام حسين نائب رئيس حزب البعث العراقى . وقد زارهم فى الفندق أحد أعضاء مجلس القيادة حيث أبلغوه أن العراق مستعد لتقديم الخبرة والدعم بلا حدود ، وحاول معرفة أسماء أعضاء المجلس ، ولكن الضابط الليبى تحفظ فى الحديث معه، وعاد الوفد إلى بغداد عن طريق القاهرة وقد تكررت هذه المحاولة من بغداد بعد أسبوع ففى الرابع عشر من سبتمبر ٦٩ وصل فجأة إلى بنغازى وفد عراقى برئاسة صدام حسين.

● لأهمية مادار من مناقشات حول مهمة هذا الوفد أرجو أن قف أمامها بشىء من التفصيل؟

ـ تحدث العراقيون عن موقف العراق فى حرب يونيه ٦٧ ، وأن الحكم أيامها كان رجعيا فنفى الجانب الليبى هذه المقولة لمخالفتها للواقع، ثم عرض الوفد العراقى على الأخوة الليبيين قوانين ثورة العراق ، ولتطبق خبرتهم الثورية . كما قدموا مدير الإعلام العراقى ليتولى الإعلام الليبى، وقد رافقهم ضابط عراقى من رئاسة الأركان ليتولى تنظيم الجيش الليبى، ووزير الشباب للمشورة فى تنظيم الشباب، وأحد النقابيين لتولى شئون العمال وتنظيمهم ، لصالح الثورة، وفى بداية اللقاء أبدى صدام حسين استعدادهم لإرسال سرب طائرات وفرقة مدرعة لحماية الثورة الليبية . وأوصى صدام بعد ذلك

بوضع أعداء الثورة فى السجن واستخدام العنف باعتبار أنهم مارسوا هذه التجربة ، وطالب بتأميم البترول، وقد سألهم الأخ العقيد معمر القذافى سؤالا واحدا ردا على كل هذه العروض كان السؤال هو: ماهو موقفكم من الجبهة الشرقية وحاجتها لهذه الطائرات والمدرعات. . . وهل أنتم أممتم البترول فى العراق أو هل رفعتم سعره أصلا؟ وقد رد العراقيون بأنهم ليست لهم أطماع فى ليبيا .

وبعد هذا اللقاء حاول الوفد العراقى أن يلتقى بباقى أعضاء مجلس الثورة فى طرابلس.

● نعود إلى محاولات الاستقطاب. . وقد تحدثت عن المحاولة الأولى. . فما هى المحاولة الثانية؟

ـ المحاولة الثانية وصول وفد سودانى فى اليوم التالى لوصول الوفد العراقى ، وطلب اللقاء مع مجلس القيادة مجتمعا لتقديم خبراتهم الثورية ، وكان الرد عليهم أنه لم يمض على ثورتكم إلا ثلاثة شهور فقط ، فمن أين الخبرة.

● وماهى المحاولة الثالثة والأخيرة؟

ـ المحاولة الثالثة كانت فى صورة مهمة قام بها القنصل الأمريكى وقد وضع ثلاثة شروط أمريكية للاعتراف بالثورة الليبية هى :

الاحتفاظ بالقواعد الأمريكية ـ والالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات الثنائية ـ واستمرار التعاون ـ والمحافظة على مصالح أمريكا فى ليبيا، وقد أبدى مجلس الثورة الليبى موافقته الشفوية فقط على هذه الأمور وقد ركز القنصل الأمريكى على محاولة معرفة شكل العلاقات بين ليبيا وج.ع.م ومدى حجمها وعمقها وإلى أين؟ وأسئلة كثيرة بهدف الاحتواء ومحاولة إيجاد ثغرة لإفساد هذه العلاقات بأى شكل.

● وكيف سارت الأمور بالثورة الليبية بعد ذلك؟

ـ كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وضع اهتمامه الأول بمتابعة مايجرى على الساحة الليبية ، فبعد أسبوع من قيام الثورة أعلن عن ترقية الملازم أول معمر القذافى إلى رتبة العقيد وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة الليبية، وشكلت أول وزارة ليبية بعد الثورة.

وكان هوارى بومدين قد وصل إلى مطار بنغازى معلنا تأييد الجزائر ، ومساندتها للثورة . كما تعرض لوجود فتحى الديب هناك ولفت نظرهم لأخذ رأيه ومشورته بحذر لأنه سيحاول السيطرة عليهم، كان لهذه النصيحة بعض التأثير ، وعندما علم الرئيس جمال عبد الناصر بذلك أمر بإرسال برقية نصها : —

١ — من سامى شرف إلى فتحى الديب . . قابلوا العقيد معمر القذافى والأخوة أعضاء مجلس الثورة لتبلغيهم أن مأموريتكم انتهت وأنكم ستعودون للقاهرة مع الوفد المصرى فى خلال الأيام القليلة القادمة .

يفسر هذا القرار على أساس أن الأمور أصبحت فى وضعها الطبيعى خصوصا بعد قيام مجلس الثورة ومجلس الوزراء بمهامهما .

٢ ــ السفير أحمد رياض «سفيرنا فى ليبيا فى ذلك الوقت» سيمارس مهامه لفترة، ثم يحل محله سفير آخر كما سيتم تعيين ملحق عسكرى .

٣ــ ج . ع . م على أتم استعداد لتلبية مايطلبه الأخوة فى جميع المجالات بلا تحفظ .

هذه التعليمات صدرت تلبية لرغبتكم فى رسالتكم الشخصية الأخيرة .

وعندما أبلغ فتحى الديب محتوى البرقية للعقيد ، حاول الاستفسار عن أسباب اتخاذ هذا القرار، وطلب أرجائه وإبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر شكره وتقديره وأنهم يعتمدون عليه فى مساندتهم ، مع تقديرهم الكامل بالنسبة لالتزامات مصر نحو معركة التحرير.

● شاركت مصر فى إعادة تنظيم القوات المسلحة والخبرة المصرية فى ليبيا؟

ــ مع مطلع الأسبوع الثانى من شهر سبتمبر ٦٩ ، وكان هذا مصاحبا لإصابة جمال عبد الناصر بالأزمة القلبية الأولى، طلبت الثورة الليبية إعادة تنظيم القوات المسلحة وعقد اجتماع فى وزارة الحربية حضره من مصر الفريق أول محمد فوزى وفتحى الديب وسامى شرف، تركز البحث فيه على أن يتم العمل على عدد من المراحل تبدأ بإعداد الكوادر القادرة من الضباط ، وصف ضباط ، تحمل مسئولية التدريب فى المعاهد، ثم اعادة تنظيم وزارة الدفاع الليبية وقيادة القوات المسلحة ، وعن احتياجات مجلس الثورة

الليبية ، وإنشاء مدرسة للصاعقة على أن تقوم القوات المسلحة الليبية بإعداد المرشحين للتدريب فى القاهرة ، ويتولى الفريق أول محمد فوزى مسئولية التنسيق والتنفيذ مع وزير الدفاع الليبى . وقد سارت الأمور بروح عالية جدا وحققت نتائج تفوق التصور.

● والأمر الآخر هو الخبرات المدنية؟

ــ كانت جهات التنسيق أيضا ثلاثة : هى مكتب الرئيس ممثلا فى مكتبى ــ ومكتب وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ــ ومكتب فتحى الديب .

وفى المقابل اتفق على إنشاء مكتب للخبرة يتبع مجلس الوزراء الليبى ، تتبادل هذه المكاتب فيما بينها مايتعلق بشئون الخبرة وتتولى التنسيق والإشراف والتنفيذ والمتابعة فى مجالات الإعارات أو الانتداب .

وكان المهندسون والأساتذة على رأس الخبرات المصرية التى أوفدت إلى ليبيا، وكنت أنا شخصيا على رأسها ، كما قام د. لبيب شقير والمهندس سيد مرعى بدور كبير فى مجال تقديم الخبرة ، كان لعدد من الخبراء دور مشرف أذكر منهم ــ السيد حلمى كامل نائب رئيس هيئة التصنيع ووزير الصناعة فيما بعد ــ محمد عبد الرقيب نصر بدوى رئيس الهيئة العامة لاستصلاح الأراضى ــ أنيس البرادعى رئيس هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية ــ د. عبد الحميد حسنى رئيس هيئة الكهرباء ــ أحمد طلعت عزيز رئيس هيئة المضارب ــ محمود عبد الحافظ رئيس هيئة استغلال وتنمية الأراضى ووزير الإسكان فيما بعد ــ وعادل عزى رئيس هيئة الأراضى المستصلحة ــ وحسن الشربينى وكيل وزارة التخطيط ــ محمد الخواجة نائب وزير الاقتصاد ــ عبد المنعم سيف مدير عام شركة مصر الجديدة للإسكان والمواصلات ــ المستشار عادل عبد الباقى مساعد المستشار القانونى لرئيس الجمهورية ــ د. عبد الغفار خلاف وزارة الصحة ــ السيد عبد العزيز السيد وكيل وزارة التربية والتعليم ــ السيد سعد الشربينى نائب مدير المباحث العامة «الوزير فيما بعد» ، وفى الإسكان حوالى ٧٠ مهندسا وفنيا وفى الكهرباء ٣٩ مهندسا و٨١ فنيا . وفى مجال الصحة ٢٧٢ طبيب و١٥٢ هيئة تمريض و١٣ فنيا (معمل وأشعة)، علاوة على ٥٣ طبيبا عسكرياً للقوات المسلحة الليبية و٢ فنيين علاج طبيعى وفى مجال النقل ٣ مهندسين متابعة، و١٠ مهندسين مرور،

ومهندس معمل وسبعة مساحيون، بالإضافة إلى خبراء فى معاينة المطارات، ومايتعلق بشئون الطيران المدنى والمراقبة الجوية وفنيون لإدارة الموانىء والتخزين بالموانىء والمطارات، وفى مجال المواصلات السلكية واللاسلكية و١٧ مساعد مهندس وفنيون، علاوة على دعم الجهاز المركزى للمحاسبات بالخبرات الفنية والقانونية كل هذه الخبرات كانت تتحمل مصر أعباءها بالكامل.

● هل يمكن أن نقول مع كثير من التجاوز أنه كان هناك صراع خفى ومستتر بين مصر والعراق على احتواء الثورة الوليدة؟

ـ أنت لا تستطيع أن تقول ذلك لأن مصر ، وهذه حقيقة ، لم تفكر فى هذا الأمر. وكانت سعيدة جدا بقيام الثورة، وماأعلنته من دعمها للمعركة، وكان هذا هو المهم والهدف الأساسى لجمال عبد الناصر ولكن موقف العراق كان محيرا . . فقد تأكدنا من خلال كسر الشفرة العراقية محاولتهم بإصرار على احتواء الثورة الليبية من خلال قيام جبهة بين الشيوعيين والبعثيين، عن طريق محاولة التأثير على بعض أعضاء مجلس الثورة، والسيطرة على قيادات عمال البترول، وقد نجحوا جزئيا فى احتواء عمر المحيشى ومحمود المغيربى بواسطة سعدون حمادى رئيس شركة النفط العراقية فى ذلك الوقت، والذى بقى فى طرابلس بعد سفر الوفد العراقى ـ وللعلم كان قد قبض علي سعدون حمادى فى محاكمات البعث فى ليبيا إبان حكم الملك إدريس السنوسى وكان يعمل فى أحد البنوك وقتذاك.

وازاء ظهور تيارات سياسية ومحاولاتها التأثير على اتجاه الثورة الوحدوى، فإن ليبيا قررت تعزيز مجلس الوزراء بعناصر ذات اتجاه قومى وطنى، ولهم وزنهم أمثال مصطفى بن عامر وبشير المغيربى ـ من جماعة عمر المختار وهى الجماعة التى كانت على صلة وثيقة بجمال عبد الناصر وكان بشير المغيربى قد نقل رسالة شفوية من الرئيس جمال عبد الناصر لقادة الثورة الليبية تناولت أيضا ضرورة الاهتمام بالتنظيمات الشعبية والجماهيرية وقدم مشروعاً لميثاق العمل الوطنى . وقد ساهم فى هذا العمل أيضا الأخوة على وريث وإبراهيم الغويل والأخوة أحمد زعرور وأحمد صدقى الدجانى وهما من العناصر القومية العربية.

وفيما بعد وخلال شهر نوفمبر سنة ٦٩ وصل صالح مهدى عماش وزير الدفاع العراقى إلى ليبيا مطالبا بقرض عشرة ملايين جنيه لسداد قيمة صفقة طائرات ميراج من فرنسا ثمنها ثمانية عشر مليون جنيه، وطلب العقيد القذافى التحقق من نوايا العراق حول هذا الموضوع، كما طلب موافاته بحقيقة ميزانية العراق وأرصدتها الخارجية وأبلغ العراقيين بأنه يشترط وصول هذه الطائرات إلى العراق قبل البت فى موضوع القرض كما أرسل إلى مصر طالباً معلومات حول هذا الأمر.

وقد بعث الرئيس جمال عبد الناصر إلى العقيد برد يتضمن الإجابة على كل التساؤلات . وأن العراقيين لم يتكلموا معنا فى أى موضوع خاص بليبيا وأضاف الرئيس بأنه لدينا معلومات مؤكدة تفيد أن هناك مخططاً بعثياً لسرقة الثورة الليبية من الداخل وفى تقدير الرئيس أن القرض المطلوب بعشرة ملايين جنيه للعراق سيستخدم جزء منه لتمويل سرقة الثورة الليبية.

وقد رد الأخوة فى طرابلس على طلبات العراق بأنهم قد قرروا تأجيل جميع مشروعاتهم التنموية والعمرانية وأن كل الإمكانيات ستسخر لصالح المعركة.

● كيف كانت تتم الاتصالات بين الرئيس والعقيد معمر القذافى؟

ـ بكل الوسائل ، وكانت بينهما رسائل صريحة أذكر منها ثلاث رسائل . .

الأولى: فى نهاية سبتمبر حيث كلفنى الرئيس بكتابة رسالة للأخ فتحى الديب لإبلاغها للعقيد القذافى بالتأكيد على الاهتمام بأمن الثورة، والتركيز على الأمن الشخصى للعقيد، لاستمرار الأحوال على ماهى عليه فإن الضغوط ستزداد ضده بعنف، وقد تم بالفعل اختيار الأخ عبد المنعم الهونى للإشراف على جهاز المخابرات، واتفق على إيفاد مجموعات لتلقى التدريب فى القاهرة، كما بدأ الاهتمام بتكوين الحرس الجمهورى وسكرتارية للعقيد معمر القذافى.

فى نفس الوقت بدأ التركيز على دراسة أساليب الارتباط بالقاعدة الشعبية وتنظيمها بوضع برنامج فى شكل ميثاق للعمل الوطنى.

والثانية: تعد من أهم الرسائل التى بعث بها جمال عبد الناصر للعقيد معمر القذافى وقد حمل هذه الرسالة محمد حسنين هيكل فى ١٠ أكتوبر ٦٩، تركزت على أهمية دعم الثورة الليبية، وضرورة اتخاذ كافة الإجراءات التى تكفل حمايتها وتأمينها.

ويرى الرئيس جمال عبد الناصر ضرورة تبادل الأفكار باعتبار أن ثورة ليبيا فى المكان وفى الوقت وفى الظروف والملابسات التى قامت فيها تشكل ضربة للاستعمار وتؤثر على موازين القوى فى المنطقة، لذلك فإن القوى المعادية للأمة العربية التى فاجأتها الثورة ستتحين الفرصة لضرب الثورة رغم ماتقوم به من مداراة حفاظا على مصالحها، وشرح ماصادفته ثورة ٢٣ يوليو من محاولات مضادة وقال إن مساندة مصر لثورة ليبيا ليست كلاما يقال ولا بد من التخطيط المسبق لدراسة كافة هذه الاحتمالات ، وهذا يحتاج لتنسيق على أعلى مستوى ويقترح تكليف مجموعة مشتركة للبحث والدراسة .

وكان رد العقيد على الرسالة بالإيجاب والموافقة على كل ماجاء بها مقدراً هذا الاهتمام رغم انشغال الرئيس بالمعركة ومرضه .

وقد تم إعداد تقرير بالموقف نوقش فى مجلس الثورة بعد أسبوع من وصول رسالة الرئيس واتفق على وضع تصور للاحتمالات المضادة وأسلوب مواجهتها .

الثالثة : بناء على تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر بعثت بها الأخ فتحى الديب فى حوالى منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، يقترح الرئيس عقد مؤتمر ثنائى مع العقيد أو مؤتمر ثلاثى تضم إليه السودان قبل مؤتمر الرباط ، فى القاهرة أو طرابلس، وكان قد تحدث مع نميرى حول اجتماعات دورية كل ثلاث شهور، أما بخصوص عملية التنسيق ــ الرسالة التى حملها الأستاذ هيكل ــ فإنه فى حالة حدوث أى عدوان على النظام الليبى فإن القاهرة تضع كل إمكانياتها بدون أى تحفظ تحت تصرفهم، بما فى ذلك القوات المسلحة، وكان الرئيس يرى أن من الضرورى دعم خط العمل الثلاثى بين مصر والسودان وليبيا فى كافة المجالات (المثلث الذهبى) .

● وماذا عن القوات المسلحة . . وصفقة الميراج الشهيرة؟

ــ كان العقيد معمر القذافى مهتما بتطوير القوات المسلحة لتحقيق وحدة المصير، فى معركة التحرير ومن هنا فإنه وزملاءه حريصون على سرعة تحديث وتسليح القوات، كما كان يلح فى تطوير الخطط المصرية من ناحية الاحتياجات .

وقد أبدت مصر استعدادها لاستقبال ٣٠ طالباً بالكلية البحرية ، وعشرة طلاب فى كل دورة بكلية الطيران ، وإرسال ٣ قطع بحرية بأطقمها المصرية ، على أن يرتدوا الزى العسكرى الليبى ، ويمكن أن تستوعب المدارس ومراكز التدريب أى عدد من ضباط الصف والجنود .

● وصفقة الميراج ؟

ــ فى نهاية شهر أكتوبر سنة ٦٩ أرسلت طرابلس أن سفير تونس فى ليبيا أخطرهم باستعداد فرنسا لبيعهم مائة طائرة ميراج ووافق مجلس الثورة، وقرر إيفاد لجنة برئاسة عبد السلام جلود إلى باريس فى خلال أسبوع للتفاوض حول هذه الصفقة ولمناقشات طريقة الدفع ، و أساليب التدريب وقطع الغيار والذخيرة وغيرها . .

وعلى الفور طلب الرئيس من الفريق أول محمد فوزى إعداد الدراسات السريعة اللازمة ، وطلب إلى فتحى الديب العودة فورا إلى طرابلس برسالة شفوية ، تحمل الموافقة على إتمام الصفقة ، وبعد الدراسات الفنية التى أعدها الفريق فوزى مع تأكيد الرئيس على استعدادنا لمواجهة التزامات هذه الصفقة من طيارين وفنيين وأن العقيد طيار أ. ح عبد الخالق مطاوع سيلحق به فى طرابلس لمرافقة الوفد الليبى المتجه إلى باريس .

وفى الأسبوع الأخير من نوفمبر سنة ١٩٦٩ تم الاتفاق على الخطوط العريضة لهذه الصفقة ووضعت الحكومة الفرنسية شرطين :

أولا: عدم استخدام هذه الطائرات فى حرب ضد فرنسا أو أية دولة تربطها بفرنسا علاقات صداقة .

ثانيا : ألا تعطى الطائرات والمعدات لدولة ثالثة ولا تستخدم بأوامر دولة ثالثة كما لا تتمركز بدولة ثالثة .

وبعد مناقشات فسر الجانب الفرنسى هذه الشروط بأن المقصود بالدول الصديقة تونس وتشاد والنيجر . أما اسرائيل فقد أوضحوا بشكل قاطع أنهم يوافقون على أى عمل مضاد لها ، وان المقصود بالتمركز أن يكون بصفة مستمرة ودائمة بمعنى عدم نقل المعدات الثقيلة والورش إلى مصر، وقالوا أنهم لا يعارضون فى هبوط الطائرات فى مطارات مصرية ولكن لمدة لا تزيد عن خمسة شهور.

وقد أصر الجانب الليبى على ضرورة النص وتضمين البروتوكول لهذا التفسير.

واستجاب الجانب الفرنسى، كما وافق الجانب الفرنسى على تزويد الطائرات بقطع غيار فى حدود ٢٠٪، تكفى احتياجات الطائرات ثلاث سنوات، ووافق الجانب الفرنسى على الشروط الليبية فيما يتعلق بالتسليح والتدريب ومعامل التصوير الجوى وأجهزة التنشين الآلى، علاوة على إضافة ثمانية وعشرين طائرة هليوكبتر.

كما أبدت الحكومة الفرنسية اهتمامها، واستعدادها للتعاون فى ليبيا فى ميكنة الزراعة، وقد طلب العقيد معمر القذافى أن يتم لقاء مع الرئيس جمال عبد الناصر خلال أسبوع، للتفاهم حول هذه المسألة علاوة على رغبته فى التشاور حول قضية الجلاء عن القواعد الأجنبية فى ليبيا، وقضية التنسيق الثلاثى بين ليبيا والسودان وج.ع.م.

● متى كان اللقاء الأول بين الرئيس جمال عبد الناصر والعقيد معمر القذافى وكيف تم هذا اللقاء؟

ـ اللقاء الأول كان فى القاهرة فى شهر ديسمبر ١٩٦٩، فقد طلب الأخ العقيد معمر القذافى لقاء الرئيس جمال عبد الناصر بشكل سرى، وقد رحب جمال عبد الناصر واقترح بصفة مبدئية يوم الإثنين الأول من ديسمبر ١٩٦٩ أو اليوم الذى يراه العقيد، إذ لم يناسب هذا الموعد، حيث إنه كان شهر رمضان، وأن يقوم فتحى الديب وسامى شرف بإجراء كافة الترتيبات، حيث اتفقنا على وضع شفرة خاصة للزيارة، وتأمين طائرة العقيد بعد دخولها المجال الجوى المصرى، وترتيبات الأمن الخاصة بالزيارة، ووضع خط سير لطائرة العقيد لا يتعارض مع خط سير الخطوط الجوية العادية، حتى تصل الطائرة إلى قاعدة ألماظة الجوية، وسلمت الخرائط الجوية اللازمة بها لقائد الطائرة الليبية ليتم الاطلاع، عليها، واتفق على عدم اذاعة أى خبر يتعلق بالزيارة.

وسيرافق الأخ العقيد، عبد المنعم الهونى، ومحمد المقريف، وبشير هوادى، وقرر العقيد إتمام الزيارة فى نفس اليوم الذي اقترحه الرئيس جمال عبد الناصر، ولقد روعى فى خط سير الطائرة أن تطير فوق مديرية التحرير ووادى النطرون والأهرامات والنيل الذى ما إن شاهده العقيد من نافذة الطائرة حتى قال : الحمد لله الذى وهب مصر هذا النيل العظيم.

وأقام الأخ العقيد فى قصر القبة حتى موعد الإفطار الذى تم تناوله على مائدة الرئيس

فى منزله بمنشية البكرى، وبعد الإفطار شرح الأخ العقيد لجمال عبد الناصر مرا الثورة منذ بدايتها وشكر الرئيس باسم الشعب الليبى على دعمه للثورة فى المجالات، وقال جمال عبد الناصر أن ثورة ٢٣ يوليو تؤمن بحق الأمة العربية فى كريمة، وأن الشعب العربى لابد وأن يفرض إرادته على أرضه ويحدد مص باستقلالية، وعبر عن استعداد شعب مصر للوقوف إلى جانب الثورة الليبية لتثب أقدامها وتحرير أرضها كخطوة على طريق تحرير الأرض العربية المحتلة.

● ثم عاد العقيد معمر القذافى إلى ليبيا؟

ـ لا. . لقد عقدت خلال هذه الزيارة أربعة اجتماعات، وفى الاجتماع الثانى عر موقف القوات المسلحة الليبية وقدراتها على مواجهة التزاماتها الدفاعية، ثم طرح الرئيس جمال عبد الناصر باسم الثورة الليبية توحيد القوات المسلحة فى البلدين فى أق وقت، وكان الطلب غير متوقع، ولم يجر أى تلميح حوله من قبل، وقد رد جمال الناصر بطلب فرصة من الوقت للتفكير والدراسة، ثم يبلغ العقيد قبل عودته إلى ل بالنتيجة.

وأبدى العقيد القذافى استعداد ليبيا لبذل كافة جهودها وتقديم كل إمكانياتها أجل خدمة المعركة، وقال أن الهدف الرئيسى من صفقة الميراج، هو دعم قدرا القوات الجوية المصرية تاركا تحديد الأنواع والأعداد المطلوبة للرئيس جمال عبد النا والقيادة العسكرية، وتعرض جمال عبد الناصر بعد ذلك للتوقيتات التى اقترح الجانب الفرنسى للبدء فى تسليم الطائرات وعدم توافقها ـ حسب تصوره ـ التزامات المعركة إلا أن العقيد أبان بأنه يضغط للحصول على عدد أكبر من الطائرا خلال سنة ١٩٧٠ وعلى أقصى تقدير فإنها ستسلم فى فبراير سنة ١٩٧١.

فأكد الرئيس جمال عبد الناصر على هذا وقال إن مصر مستعدة لتقديم كافة الأعدا المطلوبة لتشغيل الطائرات وإدخالها فى حساب المعركة مع طيارين وفنيين مهما كان الأعداد المطلوبة، وأن الفريق فوزى يدرس كل العروض الفرنسية بخصوص المعدا والأسلحة الأخرى (كان الجانب الفرنسى قد تقدم بعروض تسليح جديدة أبلغنا العقيد طيار عبد الخالق مطاوع).

ووعد الأخ العقيد ببذل أقصى حد من الضغوط لاستلام ليبيا ، لأكبر عدد من الطائرات فى التوقيتات التى نوقشت .

● وماذا عن الاجتماع الثالث بين الرئيس جمال عبد الناصر والعقيد معمر القذافى؟

ـ كان أيضا فى منزل الرئيس جمال عبد الناصر بمنشية البكرى عقب طعام الإفطار، وقد عرض فيه العقيد الموقف داخل مجلس قيادة الثورة الليبية وأشار إلى أن هناك اتجاها داخل المجلس لكى يتولى هو رئاسة مجلس الوزراء بالإضافة لمسئولية قيادة مجلس الثورة، وأنه مازال يفكر فى الحلول المتاحة وهل يعاونه فى الوزارة مدنيون أم يشارك فيها بعض أعضاء مجلس الثورة مع نقص الخبرة والحملةعليهم من قبل بعض العناصر الحزبية من جهة أخرى، وأنه كثيرا مايتدخل فى الأعمال التنفيذية لانقسام الوزارة المدنية الحالية على بعضها .

حدد الرئيس جمال عبد الناصر بأن مسئولية نجاح الثورة تقع على عاتق العقيد شخصيا، وأن ليبيا تواجه خلال الفترة القليلة القادمة ظروفا تستدعى وتستوجب سيطرتهم على الأوضاع الداخلية، مرحلة مفاوضات الجلاء عن القواعد الأجنبية ـ الاستمرار والإصرار على تنفيذ مخططاتهم لتوفير حياة مستقرة للشعب الليبى، وهذا يتطلب تركيز السلطة فى أيد أمينة قادرة على العطاء المستمر والإيمان العميق بأهداف الثورة، وأنه يرى أن أكثر الناس قدرة على الإطلاق لتحقيق هذه الأهداف هم أعضاء مجلس الثورة .

أما عن نقص الخبرة فهى ليست مشكلة كبيرة، ونحن على استعداد للمعاونة بإيفاد بعض كبار المتخصصين، بما فيهم الوزراء إذا تطلب الأمر ليكونوا جهازا متكاملا لتقديم المشورة والخبرة وليعاونوا فى رسم خطط الوزارات ووضعها فى حيز التنفيذ .

ورد الأخ العقيد أنه لايريد أن يحمل ج . ع . م أعباء جديدة إلا أن ثقتهم بأن الثورة الليبية هى أحد روافد ثورة ٢٣ يوليو، يدفعهم للاستعانة بدعم الرئيس عبد الناصر لهم، والذى يعتبرونه والداً، وسنداً لهم، فى نجاح ثورتهم، وطلب الرئيس بأن يعد سامى شرف وفتحى الديب قوائم بأسماء الخبرات التخصصية كجهاز تخطيط وتعرض الدراسة على الأخ العقيد فى الجلسة التالية، وتحدث الرئيس عن ضرورة التضامن

والتماسك بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعدم إتاحة الفرصة للعناصر المتسللة أو الحزبية بالنفاذ للتأثير على وحدتهم وتضامنهم .

وتحدث العقيد عن مؤتمر القمة القادم بالرباط، ورد عليه الرئيس عبد الناصر بأن مثل هذه الاجتماعات تعمل وفق جدول أعمال متفق عليه، واتفقا على وضع ورقة عمل حينما يزور جمال عبد الناصر ليبيا فى طريقه إلى الرباط .

● والاجتماع الرابع والأخير بين الرئيس والعقيد خلال هذه الزيارة الأولى والذى عرضت فيه ولا شك أسماء الخبراء؟

ـ عقد أيضا بعد الإفطار الذى أقامه العقيد القذافى للرئيس جمال عبد الناصر فى قصر القبة، وقال العقيد أنه سيبلغ القاهرة عن من يقع عليه اختياره، وبعد الاستقرار على الشكل النهائى لمجلس الوزراء الجديد الذى سيشترك فيه بعض أعضاء مجلس الثورة .

وتحدث الرئيس بالتفصيل عن ما تعرضت له ثورة ٢٣ يوليو منذ بدايتها من تجارب ومؤمرات وأساليب القوى المختلفة وكيف أجهضتها الثورة من البداية وطالب الأعضاء بوحدة الفكر والالتزام برأى الأغلبية مهما كان مخالفا لرأى الأقلية ، وأجاب الرئيس عبد الناصر على الكثير من الأسئلة والاستفسارات .

● هل أثير فى هذا اللقاء الأخير ماكان قد طالب به العقيد من وحدة القوات المسلحة، والذى وعد الرئيس بدراسته قبل انتهاء الزيارة؟

ـ نعم كان الرد جاهزا على ضوء دراسة قيادة القوات المسلحة ، وكان أبرزها تشكيل مجلس حرب موحد من وزيرى الحربية والدفاع فى البلدين له سكرتارية دائمة من الخبراء مقرها القاهرة، وتعمل على توحيد الأنظمة والقوانين وتقدير الميزانية وتوزيعها، ومجلس الحرب مهمته إعداد خطة بقاء وإعداد وتدريب وتطوير القوات المسلحة فى كلا البلدين فى كافة النواحى .

وقد سلم الرئيس جمال عبد الناصر صورة من هذه الدراسة للعقيد القذافى لدراستها فى مجلس الثورة لإخطاره بما يتفق عليه عند زيارة الرئيس لطرابلس للبدء فى تنفيذ مايتفق

عليه، وقد غادر العقيد معمر القذافى وزملاؤه أعضاء مجلس الثورة القاهرة صباح يوم ٤ ديسمبر ١٩٦٩ .

● وهل تكررت زيارات العقيد معمر القذافي للقاهرة؟

ــ زار العقيد القاهرة بعد هذه الزيارة ... ست مرات .

الزيارة الثانية من الأربعاء ١١ فبراير ١٩٧٠ حتي ١٤ فبراير ١٩٧٠، والزيارة الثالثة تمت في٢٧ أبريل ١٩٧٠ ، والرابعة فى الجمعة ١٢ يونية ١٩٧٠ بعد زيارته للدول العربية، وزيارة فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وعاد فى٢٨ سبتمبر لتوديع جمال عبد الناصر الوداع الأخير .

● ألم تطرح قضية الوحدة بين مصر وليبيا في تلك الفترة ؟

ــ بداية كانت هناك اتفاقيتا الحدة العسكرية والوحدة الاقتصادية مع طرحهما علي السودان ليكون الاتفاق ثلاثيا، وتم الاتفاق علي توقيع ميثاق طرابلس الثلاثى في ديسمبر ١٩٦٩ ، وكان للسودان موقف أرجعه الى مشاكل الجنوب وعدم إمكانية إقناع الأحزاب السودانية قبل التمهيد لهذه الخطوة مما جعل مجلس الثورة الليبى يصاب بخيبة أمل وطرح أغلبهم فكرة الوحدة الفورية مع مصر، ورأى عبدالناصر الاتفاق على صيغة للتعاون بين الدول الثلاثة فى شكل ميثاق عمل واجتماعات دورية للرؤساء الثلاثة، وكانت رؤيته أن تتم الوحدة على مراحل بدء من صيغة التعاون الى التنسيق في كافة المجالات فى العمل على تهيئة مناخ طبيعى لاتخاذ خطوات إيجابية تنبع من الممارسة وربط المصالح ببعضها ، وتتدرج الخطوات حتى تصبح الأمور طبيعية ولاتحتاج لتشريعات مع التشديد على توحيد العوامل المساعدة كالتعليم والخدمات الأخرى وبالتبادل التجاري والتخطيط لأسلوب تنمية في الزراعة والصناعة والأمن القومى يحقق أهداف الوحدة لأنه ــ كما كان يقول عبد الناصر دائماً « إنه من المحتم علينا أن نعالج مشاكلنا بالنفس الطويل ، خصوصا فى المسائل المصيرية »

وتم الاتفاق على استمرار الخبراء المصريين حتى بعد وضع خطة التنمية لمعاونة الوزارة الجديدة برئاسة العقيد الذي أكد في أكثر من مناسبة أنهم سيعتمدون على الخبرة المصرية، وأن وجهتهم هى ج . م . ع . وجمال عبد الناصر بالذات ، وكانت مرتبات

الخبراء على المستوى القيادى والوزراء تتحملها ج . م . ع ، أما باقى الخبراء على المستوى الأدنى فالاتفاق كان أن تتعاقد معهم السلطات الليبية، وقد وضعت بعد ذلك الضوابط الإدارية والمالية التى تكفل حسن الأداء وصدرت لائحة مرتبات ليبية للخبرة المصرية .

وأود أن أقول هنا إن الاقتصاد نشط جدا ابتداء من شهر فبراير ١٩٧٠ وزادت الإيداعات فى البنوك ووصلت الي ٨٠٪ بعد أن كانت ١٪ فى الأشهر الثلاثة السابقة كما نشطت قطاعات التشييد والتجارة، وانتظمت عمليات الاستيراد ، وازداد السحب من الأسواق ، مما أوجد حالة انتعاش، وبدأ الاهتمام بالزراعة، والرى وإمكانيات المساهمة فى المشروعات التى تضمنتها خطة التنمية التى وضعتها هيئة الخبرة المصرية، ووضعت دراسات نحول التنظيمات الشعبية فى ليبيا وأنسب ما يتمشى مع طبيعة المجتمع الليبى، كما أصدر جمال عبدالناصر أوامره بأن يكون شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف بالتعاون مع فتحى الديب فى حالة اجتماع مستمر لدراسة تنفيذ ومتابعة مايخص الثورة الليبية . علي أن يشارك الفريق فوزى فى النواحى العسكرية . وبدأ تنظيم سكرتارية العقيد، علىَ نمط سكرتارية الرئيس للمعلومات في القاهرة، ولقد توجهت الى ليبيا أكثر من مرة لهذا الشأن علاوة على المشاركة فى تنظيم الحرس الجمهورى . كما عينت مصر سفيراً جديد فى طرابلس هو جمال شعير . . .

● كانت مصر تتحمل المرتبات لكبار الخبراء، وهو ما أعلنه جمال عبد الناصر في أحد الاجتماعات المغلقة للجنة المركزية ، من أننا لانريد من الثورة الليبية إلا أن تستقر وتتقدم لتكون دعما للقوة العربية؟

ــ نعم . . وأذكر أن السيد حسن عباس طلب من فتحى الديب أن يكلم القادة الليبيين لتدبير ٢ مليون جنيه استرلينى لنفقات موسم الحج لأننا نعاني أزمة فى العملات الصعبة وغضب جمال عبد الناصر عندما علم ، قال : إياكم ومثل هذه المسائل . . هل انقلب بنا الحال لنتساوى مع من يحاولون ابتزاز الثورة الليبية، وسأحاسب حسن عباس زكى على طلبه دون الرجوع الي ، وإذا علمت أنكم تكلمتم فى مثل هذه الأمور ولو بطريق غير مباشر سوف أحاكمكم لأنكم ترتكبون جريمة فى حق وسمعة مصر، ، وتكفل بتدبير هذا المبلغ من بنود أخرى . . واذا سمحت لى أن أذكر موقفا عكسيا تماماً

ففى بداية عام ١٩٧١ ، طلب السادات قرضا يزيد على الخمسة وعشرين مليون جنيه ووضعنى مع فتحى الديب فى مأزق عندما أصر على أن أطلب هذا المبلغ من العقيد شخصيا رغم معارضتنا ، وطبعا وافق العقيد .

● أضع سؤالا أخيرا في نهاية هذه الرحلة الطويلة مع الثورة الليبية . . لقد كانت مصر تستضيف الملك السابق إدريس السنوسى طوال هذه الفترة ، ألم يحدث ذلك شرخا في هذه العلاقة الحميمة بين عبد الناصر والقذافى؟

ــ بالعكس . . . لقد كان موقفا إنسانيا من عبد الناصر ومن العقيد معمر القذافى ، فقد بعث سفيرنا فى اليونان برسالة شخصية قال فيها ان الملك إدريس السنوسى طلب إليه إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر برغبته هو وزوجته بالقدوم إلى القاهرة للإقامة بها ، وأن له قطعة أرض حوالى ٢٨ فدان في منطقة أبو المطامير بجوار الإسكندرية وطلب موافقة عبد الناصر على ذلك ، وكان الرئيس عبد الناصر يستطيع أن يسمح له بالقدوم طبعا ، لكنه رأى أن يبعث بصورة من الرسالة للعقيد معمر القذافى مع تحبيذ الرئيس بالموافقة علي إقامة الملك فى القاهرة لمصلحة الطرفين : الملك والثورة الليبية ، وقد اقتنع العقيد القذافى بوجهة نظر الرئيس ، وفعلا وصل الملك السنوسى الى القاهرة وقد قابلته أنا شخصياً فى المطار وخصص له مسكن فى منطقة الدقى .

وفى الأسبوع الأول من نوفمبر طلب الرئيس جمال عبد الناصر للمرة الثانية من العقيد معمر القذافى استجابة مجلس الثورة لطلب الملك إدريس السنوسى تسهيل سفر ابنته بالتبنى لتعيش معه وزوجته فى القاهرة ، واستجاب العقيد القذافى لهذا الطلب وسلم ابنة الملك للاخ فتحى الديب الذى قام بتسفيرها بمعرفتنا فى اليوم التالى الى القاهرة .

. . . وينتهى حديثنا الطويل حول العلاقة الحميمة والخاصة بين ثورتى يوليو ، والفاتح . . . بين قائدى الثورتين . . . بين عبد الناصر والقذافى . . .


رحلة العمرة سنة ١٩٦٨

١٧ جمال عبد الناصر

ثورة اليمن

اليمن واحدة من القضايا العربية الساخنة فى عصر عبد الناصر، ولقد خاض عبد الناصر حربا مسلحة لتأكيد حرية واستقلال اليمن بشطريه، وكانت هذه الحرب، ومازالت موضع اختلافات كثيرة في الرأى . .

ولم يتخذ عبد الناصر قرارا بالحرب فى اليمن، كان القرار الذي اتخذ بإجماع الآراء فى مجلس الرياسة هو دعم ثورة اليمن، التى قامت بتخطيط، وإعداد وتنفيذ يمنى، لم تتدخل فيه مصر أبدا، فكانت ثورة اليمن امتدادا لثورات سابقة شهدتها أرض اليمن ضد الظلم والتحكم والطغيان حتى من قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، والقوى المضادة هى التى حولت المساندة الرمزية من مصر للثورة الوليدة بعد قيامها، ونجاحها الى حرب . .

ويرى سامى شرف أن الوجود العسكرى المصرى فى اليمن لم يؤثر على حرب ١٩٦٧ . . كما يتحدث فى هذا الجزء من الحوار أيضا عن معارك استقلال الجنوب اليمنى التى خاضها أبناؤه، وكان لمصر عبد الناصر أيضا دور حتى تحقق جلاء الإنجليز عن الجنوب مما انعكس على استقلال منطقة الخليج العربى كلها.

كان سؤالى الأول عن بداية الثورة اليمنية، وقال سامى شرف :

ــ إن الأمور في اليمن قبل الثورة لم تكن مستقرة، فقد شهدت اليمن انتفاضات شعبية عديدة كانت تقمع بوحشية، وكان إصرار قوى التحرر على تحقيق أهدافها مهما كانت التضحيات . .

كان الإمام أحمد يكره السعودية ويخشاها، وكان فى نفس الوقت محاصرا بالاستعمار البريطانى فى الجنوب، لذلك لم يكن أمامه إلا أن يلعب لعبة التوازن بإقامة علاقات ودية مع مصر . . وحدثت لقاءات سياسية وجاءت بعثات لتتعلم فى مصر، وأوفدت مصر مدرسين . .

كان الضباط الأحرار اليمنيون يتحركون وحدهم، وأحب أن أذكر أنه لم يكن لهم أية صلات تنظيمية بمصر، وأن حركتهم كانت يمنية خالصة . . ولكنهم كانوا يدركون أن عبد الناصر لابد وأن يساند ثورتهم إذا قاموا بها، ولتحقيق آمال الشعب اليمنى . .

●فوجئت مصر بثورة اليمن . . . أى أنها لم تعرف بها قبل قيامها؟

ـ نعم . . وكانت رسالة الضباط الأولى تطلب مساندة مصر عن طريق الاعتراف الفورى ، ومحاولة كسب اعتراف الدول الصديقة، والدعم الإعلامى ، وسرعة وصول قوة عسكرية محدودة ترابط فى صنعاء، لأن وجودها سيحد من تدخل أية قوة خارجية ، فضلا عن عمق تأثير التواجد المصرى نفسيا على القبائل .

●كيف وصلت هذة الرسالة؟

ـ عن طريق محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى اليمن .

● وماذا كان موقف القاهرة لحظة وصول هذه الرسالة؟

ـ فى نفس الليلة أيقظنا جميع أعضاء مجلس الرياسة ودعوناهم لاجتماع عاجل فى منزل الرئيس بمنشية البكرى . . وحضروا جميعا. وهم لا يعرفون ما هى القضية الملحة والعاجلة التى أدت الى الدعوة لمثل هذا الاجتماع الذى حضرة أيضا وزير الخارجية ، وربما كان مافكروا فيه عن سبب الاجتماع أمور عديده، لكنه لم يصل أبداً الى الموضوع الذى فاجأهم به عبد الناصر، أنه قامت ثورة فى اليمن، وسيطرت على قصر البدر، وعلى الإذاعة وتحفظت على القيادة الموالية للإمام، واستولت على قصر السلاح وهو مخازن الذخيرة وأن هذه الثورة الوليدة تطلب من مصر المساندة وفقا لرسالة محمد عبد الواحد . .

ودارت مناقشة طويلة، انتهت الى الاستجابة لهذه المطالب، انطلاقا من مبادىء الثورة بدعم ومساندة حركات التحرر فى العالم . . فما بالك باليمن . . واتخذت قرارات بالإجماع بالاعتراف بالنظام الثورى الجديد فى اليمن، ودعمه . .

●هل كانت هذه القرارات بالإجماع، فعلا؟

ـ كانت بالإجماع، لم يعترض أحد أبداً من أعضاء مجلس الرياسة على ضرورة

الاستجابة للمطالب. وكانت المناقشة حول الأسلوب ، وحجم قوة المساندة، وغير ذلك من الأمور الفنية . .

●كان أنور السادات مسئولا سياسيا عن اليمن؟

ـ من قبل ذلك كانت له علاقة بعبد الرحمن البيضانى الذى كان موجودا بالقاهرة، كما كان موجود أيضا القاضى محمد محمود الزبيرى، والسيد أحمد نعمان ، وهما من القيادات الوطنية وكانا ينسقان العمل مع الأخ فتحى الديب المسئول عن الشئون العربية، والذي عين سفيرا لمصر فى سويسرا ، وكان من رأى السيد أنور السادات ان الثورة لا يلزمها إلا التأمين السياسى ومعاونة عسكرية رمزية .

●هل كان لمصر دخل بهذه الثورة؟

ـ ثورة اليمن لم تكن أبدا من صنع مصر بل إن فى هذه المقولة إنكار لحق الشعب اليمنى فى تقرير مصيره وفى فرض إرادته و فى أن يحقق التغيير.

●حدثت مساندة من مصر، فمتى حدث التدخل المضاد؟

ـ أرسلت مصر بعض القوات الخاصة التى ساندت في تأمين وتثبيت الأوضاع الجديدة وكان يمكن أن تنتهى الأمور عند هذا الحد . فالثورة نجحت وأعلنت الجمهورية وهرب البدر إلى السعودية ومن ناحية أخرى فإن جمهورية اليمن الوليدة لم تكن تشكل خطرا على أى وضع مجاور لاشمالا ولا جنوبا، ولكن البعض رأى فى ذلك عملا عدائيا وبدأ بعد لوأد هذه الثورة .

فى الحقيقة هناك نقطة تحول أساسية فعندما كان البدر يحاول السيطرة على الموقف ويعد نفسه لخلافة أبيه الإمام أحمد كان عمه سيف الإسلام الحسن ـ بالاتفاق مع بريطانيا والولايات المتحدة وبعض القيادات العسكرية والقبائل ـ يعد للقيام بانقلاب عسكرى يقوده الحسن من مدينة تعز، في حالة وفاة الإمام الاحمد، فقد تصبح المصالح البريطانية والأمريكية مهددة لأنهم كانوا يعتبرون البدر مرتبطاً بالقاهرة، وأنه زار الاتحاد السوفيتى، وأقام علاقات مع موسكو، ولم يكن لدى هذه الدوائر معلومات عن تنظيم الضباط الأحرار وتخطيطه للقيام بالثورة .

إلا أن البدر بعد وفاة والده بادر بإعلان نفسة إماما على اليمن وبناء على نصيحة مستشاريه قرر أن يقوم بإجراءات عنيفة ليظهر بمظهر الرجل القوى، وكانت الإجراءات التى سيقوم بها هى إعدام بعض القيادات الوطنية التى كانت فى السجن، وبعض أبناء المشايخ والقبائل وبعض الضباط الوطنيين وأنصار عمه سيف الإسلام الحسن، وكان جمال عبد الناصر قد ارسل برقية تعزية فى وفاة الإمام وأوقف الحملة الإعلامية على الإمام عقب رحيلة . إلا أن البدر ألقى خطابا فى مسجد صنعاء في الأسبوع الثالث من سبتمبر ٦٢ قال فيه إنه سيسير على نهج والده، وقد حتمت هذه الرسالة على تنظيم الضباط الأحرار الإسراع بالتحرك ، خصوصا بعد ما أجروا اتصالات مع زعماء القبائل ووجدوا أن لديهم القدرة على التأثير على الأحداث المرتقبة وحددوا ساعة الصفر لتكون ليلة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ، وأن أى تردد أو تأجيل من جانبهم كان سيؤدى قطعاً الى إعدامهم .

●كيف تطورت الأحداث بعد قيام الثورة؟

ـ أوفدت القاهرة العميد على عبد الخبير وبصحبته القاضي محمد محمود الزبيرى والدكتور عبد الرحمن البيضانى صديق السيد أنور السادات، والطيار عبد الرحيم عبد الله أحد الأحرار اليمنيين والذى قام بدور هام وحيوى لايعرفة الكثيرون للتعرف على الموقف. وترتب على هذه الزيارة ضرورة عقد معاهدة دفاع مشترك بين اليمن ومصر وتم إيفاد أنور السادات في الأسبوع الثانى من أكتوبر ووقعت هذه المعاهدة بهدف إتاحة الفرصة لمصر لمساندة اليمن ضد أى أخطار وأرسلت ثلاث طائرات حربية وعدد محدود من القوات الخاصة تعبيرا عن تصميم مصر على مساندة ثورة اليمن، وفى هذه الحدود فقط كان تصور عبد الناصر لدور مصر فى دعم الثورة فى صنعاء.

●ما الذى جعل حجم المساعدة يزيد ويتطور الى حد كبير؟

ـ تدخلت المخابرات المركزية الأمريكية حيث حشدت مجموعة من المرتزقة الأمريكيين والأوربيين وافتتحوا مكاتب تطوع في أمريكا وفى أوربا، وعبر حدودشمال اليمن تدفقت الأموال و تدفق السلاح والمرتزقة لإشعال حرب أهلية داخل اليمن لتحويل الوضع الى فيتنام يتورط فيها عبد الناصر وتستنزفه، وقد ساعد على اشتعال القتال الداخلى بين اليمنيين غياب التنظيم، مع بعض اختلافات في الرؤى بين الضباط

الأحرار، وبعض زعماء القبائل، بالإضافة إلى تزايد حجم تدفق الأموال والسلاح على بعض القبائل ، مما جعل قيادة الثورة تطلب المزيد من القوات المصرية . واضطرت القاهرة ــ وهذا لم يكن في حسبانها ولا تقديراتها ــ لإرسال قوات وصلت في فبراير ١٩٦٣ إلى ما يقرب من عشرين ألف جندى للسيطرة على المدن الرئيسية : صنعاء وتعز والحديدة . ومن الصدف الفريدة أن القوات المصرية كانت قد بدأت فى سحبها اعتبارا من شهر مايو ٦٣ على أساس أنها أدت دورها كما أن الأدارة الأمريكية برئاسة جون كيندى قد اعترفت بالنظام الجديد، إلا أن هذه البادرة لم تكمل وطويت بوفاة كيندى فى نوفمبر سنة٦٣ .. وعلى أثر تولى جونسون الرئاسة عادت واشنطن الى السياسة التى اتبعتها المخابرات المركزية الأمريكية فأعيدت القوات المسلحة المصرية التى كان قد بدأ فى سحبها، وتم لهذه القوات السيطرة الكاملة على اليمن وبالذات في منطقة الحدود الشمالية .

ومع بداية ١٩٦٤ عقد أول مؤتمر قمة عربى وأخذت العلاقات العربية في التحسن، والاتجاه نحو مزيد من التضامن، وعادت الأوضاع الى طبيعتها تقريباً مع السعودية بعد تولى الملك فيصل فى نوفمبر ١٩٦٤ ، وتم إعلان إيقاف النار فى اليمن بعد تولى الملك فيصل بيومين فى٥/ ١١/ ٦٤ إلا أن بعض الجيوب استأنفت القتال بشكل يهدد الوضع العام ورأى جمال عبد الناصر أن يحاصر هذه المحاولة الجديدة وسافر الى السعودية في أغسطس سنة ٦٥ لبحث الأمر مع الملك فيصل وإنهاء أسباب التوتر . وقد تحقق هذا فعلا حيث تم سحب الجزء الأكبر من القوات المسلحة المصرية من اليمن (حوالى ٤٠ ألف جندى) وبقيت قوات يمكن اعتبارها رمزية لحماية المدن الرئيسية الثلاثة، وعلى كل حال فقد كانت تعليمات جمال عبد الناصر غير المعلنة أن مصر لن تنسحب نهائيا من اليمن الشمالى إلا بعد تحرير اليمن الجنوبى وطرد الاستعمار منه .

●هل تعتقد أنه تم توريط مصر، وجرها الى الحرب فى اليمن لاستنفاد جهودها، وطاقاتها؟

ـ قال البعض ذلك ، بل قام بعضهم بتشبيه العملية بفيتنام وهى مقارنة سطحية، فقد كانت الولايات المتحدة تخوض حربا استعمارية في فيتنام للسيطرة على الموارد الطبيعية فى المنطقة وتصريحات وزير خارجية أمريكا وإضحة بأن الوجود الأمريكى

هناك بغرض الحصول على المواد الأولية اللازمة للصناعة الأمريكية وفى مقدمتها القصدير والمطاط .

أما تواجد مصر في اليمن فكان لمساندة قوى الثورة والتحرر، ولم تكن لمصر أية أهداف في اليمن على الإطلاق ، وكانت المشكلة أن مصر اقتربت من حافة محيط البترول الذى لا يسمح بتجاوزه، ومع ذلك فقد بقيت الثورة اليمنية بل أكثر من هذا امتدت آثارها لتشمل الجنوب اليمنى فباقى السلاطين بل امتدت آثارها لتحرر إمارات الخليج .

●يقال إن حرب اليمن استنزفت مصر اقتصاديا؟

ـ طبعا حرب اليمن كلفت مصر غاليا فالتحرر لا يتم بلا ثمن، ولكن الثمن الذى دفعته مصر لم يكن باهظا، فقد استطاعت أيضا القوات المسلحة المصرية بخوضها حربا نظامية، وغير نظامية، وحرب عصابات، فى أرض بعيدة وصعبة، أن تحقق الهدف الذى تحركت من أجلة وأن تحقق انتصاراً على كل ماقابلها من صعاب . وقد سجلت بطولات وكفاءات عسكرية عظيمة، وأستطيع أن أقول إن حرب اليمن لم تستنزف الاقتصاد المصرى، فلقد حققت خطة التنمية الأولى خلال هذه الحرب أعلى معدل تنمية فى العالم الثالث كله حسبما ورد فى تقارير الأمم المتحدة، فكان معدل النمو طوال هذه الفترة ٢ , ٦٪ فى السنة، وهذا معدل عالٍ جدا إذا ما قورن بمعدل نمو العالم الثالث الذى لم يتجاوز ٥ , ٢٪ سنويا كما قلنا من قبل .

أكثر من هذا فكانت مصر عبد الناصر فى نفس الوقت تؤدى التزاماتها نحو حركات التحرر الأخرى فى الكونجو والجزائر ، علاوة على بناء السد العالى .

●ما هو التقييم النهائى لدور مصر فى اليمن من الناحية العسكرية؟

ـ كانت حصيلة حرب اليمن إيجابية على جميع الأصعدة فالثورة انتصرت والنظام الجمهورى قام، ومازال باقيا، حتى اليوم، وحركت ثورة اليمن رياح التغيير فى اتجاه شبه الجزيرة العربية بدءاً من عدن حتى رأس الخيمة، مرورا بالسلاطين والمشايخ الذين كانوا فى الطريق بين صنعاء ورأس الخيمة ثم سقط الملك سعود ليتولى الملك فيصل .

ولقد تنازل الاتحاد السوفيتي عن ثمن الأسلحة التى استخدمت فى حرب اليمن
كما كانت طائراته تنقل الجنود بلامقابل ..

●ما هى العلاقة التى كانت تربط أنور السادات بعبد الرحمن البيضانى، وما هو تأثير هذه العلاقة؟

ـ بداية أقول إن كل آراء ومعلومات السادات كانت عن طريق البيضانى الذى كان بعيدا عن المسرح السياسى ولم يظهر إلا فى منتصف سنة ٦٢، رغم أصله اليمنى فقد ظل بعيدا عن أرض اليمن خلال دراسته الطويلة بمصر، ثم سافر لألمانيا ليعمل هناك كدبلوماسى ثم عاد للقاهرة وتزوج من سيدة مصرية، مما جعلة أبعد ما يكون عن معايشة حقيقة الأوضاع باليمن، وكان متباعدا تماما عن أى نشاط نضالى بالإضافة إلى عدم ثقة العناصر القيادية اليمنية فيه .

ولقد نجح البيضانى في التأثير على أنور السادات، الذى أتاح له فرصة التحدث من صوت العرب للشعب اليمنى وكانت مصيبة حيث هاجم الهاشميين هجوما عنيفا بلا مبرر، غير مدرك أن أغلبية الضباط والقيادات الوطنية المشاركة فى الإعداد للثورة من الهاشميين، كما كان عدد كبير منهم فى سجون الإمام أحمد حميد الدين، وكانوا الهاشميون فى مقدمة الكفاح والنضال اليمنى، واعتبرت هذه الأحاديث من البيضانى مقدمة للتفتيت وتخريب القوى الثورية بالرغم من أنها أوقفت بناء على طلب صنعاء .

●ثم قدمت مصر مساعدات في كافة المجالات لانتشال اليمن من حكم وأوضاع القرون الوسطى، شملت مختلف الميادين وأحدثت نقلة حضارية لليمن وهو ما يلقى حتى اليوم كل تقدير من جميع اليمنين الذين يعترفون بدور مصر ويشيدون به؟

ـ سوف احكى لك قصة واحدة لترى كيف كانت الأوضاع فى اليمن قبل الثورة لقد أشار «رالف بانش» عقب زيارته لليمن مندوبا عن السكرتير العام للأمم المتحدة، الى حالة التخلف وذكر أنه لم يشاهد في حياته فى أية بقعة فى العالم فى مثل هذه الحالة، وكان يعتبر أن مساندة النظام الجمهورى هو عمل إنسانى بالدرجة الأولى، خاصة بعد أن أعلنت الثورة المساواة بين الطوائف، وإلغاء الرق والقضاء على التفرقة بين الزيود والشوافع ومنع الاحتفاظ بالرهائن .

● **وما هى الأخطاء العسكرية التى قامت بها قواتنا فى اليمن؟**

ـ ربما كانت كثيرة ولكنى أحدد من بينها محاولتها السيطرة عسكريا على كافة أنحاء اليمن وهو مالم ينجح فيه أحد من قبل مما ترتب عليه إرسال المزيد من القوات المسلحة الى اليمن فى مواجهة قوات قليلة نسبيا كانت تحتمى بالجبال وتختفى فى الكهوف أثناء القصف الجوى المصرى.

● **ماذا كانت علاقة عبد الرحمن البيضانى بالقوى الوطنية الأخرى؟**

ـ لم تكن له علاقات داخل اليمن وفى القاهرة لم يكن على وفاق مع النعمان والزبيرى عندما كانا لاجئين هنا، وقد انعكس الخلاف على الأوضاع بعد الثورة فى صراع حينما بدأ يفرض نفسه بشكل ضاغط على الثورة ـ مستغلا معرفة كل الأطراف بعلاقته بأنور السادات، مبعدا القيادات التى تحملت مسئولية الإعداد للثورة وقد شهدت الفترة التى أعقبت قيام الثورة مباشرة تعاونا بينه وبين السلال وبالذات بعد اتفاقه على أخذ البيعة لتعيين السلال رئيسا للجمهورية وترقيته إلى رتبة المشير على أن يصبح البيضانى نائبا لرئيس الجمهورية ويقوم بتشكيل الوزارة، تم ذلك مدعيا أن القاهرة هى التى ترى ذلك.

إلا أن شهر العسل بين السلال والبيضانى لم يستمر طويلا وبدأ الخلاف يدب بينهما ولينعكس بالتالى على الأوضاع.

● **ننتقل الى الحديث عن جنوب اليمن ... ودور مصر لتحريره من الاستعمار البريطانى، لأن هذا الدور انعكس فيما بعد على المنطقة كلها؟**

ـ لابد أن نلقى نظرة سريعة عن تاريخ عدن التى احتلتها القوات البريطانية سنة ١٨٣٩ حماية لخط مواصلاتها مع الهند، وكان اليمن الجنوبى يتشكل من ٢٣ مشيخة، سكانهم مليون من العدنانيين وكانت هناك حركة استقلالية تتمثل أساسا وبشكل منظم فى رابطة الجنوب العربى الى جانب تجمعات غير منتظمة من التجار والعمال والفلاحين والموظفين، وبدأت هذه الحركة تنشط بقيام ثورة يوليو، وشعاراتها في التحرر مطالبة استقلال اليمن .. عن طريق الحوار ومحاولات إقناع بريطانيا.

وعقب تأميم قناة السويس سنة ٥٦ اتجهت الأنظار إلى جمال عبد الناصر وبدأت

التجمعات اليمنية تنظر إليه، وجاءت الوحدة المصرية السورية لتزيد من حماسهم فاستجابوا لنداء عبد الناصر بمقاومة الاستعمار ـ وقاد حزب الشعب الاشتراكى ـ عبد الله الأصنج للعمل السياسى مطالبا بإجراء انتخابات عامة وتشكيل حكومة وطنية فى مواجهة المشروع البريطانى الذي أعلن عنه سنة ١٩٥٩ بتشكيل اتحاد إمارات الجنوب من عدد من السلاطين والمشايخ يرتبط بمعاهدة حماية وصداقة بريطانيا وقد رفضت القوى الوطنية هذا المشروع البريطانى وقام السلطان على عبد الكريم سلطان لحج باللجوء الى القاهرة كما بدأ حزب الشعب المظاهرات والإضراب عن العمل .. وهكذا تصاعدت حدة المقاومة فأعلنت بريطانيا ضم محمية عدن الى اتحاد الجنوب سنة ١٩٦٣.

لم يكن الدعم المعنوى الذى تلقاه حركة الجنوب من الدول العربية أو الجامعة العربية يكفل إقناع بريطانيا بتغيير موقفها فقام جمال عبد الناصر بعملية تعبئة سياسية ومعنوية عن طريق صوت العرب وتزويد المنطقة بأعداد كبيرة من الراديوهات الترانزيستور، كما شارك بنفسه فى الحملة حيث بدأ فى خطاباته للجماهير يعلن أن مصر ستستخدم كافة إمكانياتها لإنهاء الاستعمار البريطانى فى المنطقة، ثم ذكر فى خطاب آخر أنه على بريطانيا أن تجلو عن عدن والجنوب العربى وأننا فى مصر لن نسمح للاستعمار بأن يبقى فى أى جزء من أجزاء الوطن العربى.

وترجمت كلمات عبد الناصر الى أفعال بدأت بالتنظيم المسلح والمتطوعين ومعسكرات للتدريب على حرب العصابات وظهرت آثار الكفاح المسلح عام ١٩٦٣ عندما بدأ الدعم المصرى يصل لأبناء الجنوب.

● **يقال إن المخابرات المصرية لعبت دورا فى تحرير الجنوب اليمنى، ما مدى صحة ذلك، ولماذا عهد الأمر إلى المخابرات؟**

ـ بداية فقد كانت المعركة فى الجنوب ضد الاستعمار وبانضمام قعطان الشعبى لحركة القوميين العرب وانفصاله عن رابطة الجنوب التى تأسست عام ١٩٤٨ ـ وبتأثير من فيصل الشعبى استقال عدد من أعضاء الرابطة منهم على السلامى وسيف الضالعى ونور الدين قاسم وشكلوا نواة الحركة في بداية الستينات فى القاهرة حيث كانوا يدرسون.

وبعد ثورة اليمن ٦٢ عاد قحطان لليمن وبدأ التحرك الحزبى واستقطب العناصر المتطلعة للنضال الثورى والكفاح المسلح فى يناير سنة ٦٣ انضمت بعض عناصرها القيادية فى محاولة للسيطرة عليه واحتوائه.

وكان على القاهرة حتى يناير ٦٣ أن تتعامل مع كل التنظيمات مادامت تعمل من أجل تحرير اليمن، إلا أنه بعد قيام الكفاح المسلح أسندت المسئولية للمخابرات العامة المصرية التى قامت بكفاءة تامة وبإنكار للذات بأداء الدور المحدد لها وقد حدثت فعلا بعض الحساسيات اثناء العمل نتيجة شعور القيادات بالحرج عندما تتعامل مع جهاز المخابرات وكانت المخابرات تعانى فى نفس الوقت من تعدد الحركات التى تتعامل معها والتى تتصارع فيما بينها.

كان جمال عبد الناصر يأمل أن يتوحد الكفاح المسلح فى جبهة واحدة لكن الخلافات حالت دون قيامها وتخوفت المخابرات المصرية من أن تؤدى الخلافات الى حدوث صدام بين القوى الوطنية مما يؤثر على تنظيم حركة المقاومة فاضطر في فترة ما الى التدخل واختيار العناصر التى تتعاون معها، وكانت عمليات الكفاح المسلحة تتم تحت اسم «جبهة التحرير».

وبعد اكتوبر ٦٣ قامت حركة القومين العرب بطرح شعار الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل بديلا لجبهة التحرير ولتتخذ من تكوين الجبهة الجديدة وسيلة للسيطرة على قيادة الكفاح المسلح . واعتبرت بدء الكفاح المسلح من ١٤/ ١٠/ ٦٣ فى حين انه بدأ يوم ٢٧ يناير سنة ٦٣ بعملية دورية ردفان ، وفى مايو سنة ٦٥ أعلن عبد الله الاصنج عن تغيير قيام منظمة تحرير الجنوب، ونجحت مصر بعد جهود كبيرة فى ابريل عام ١٩٦٦ في إقامة جبهة مشتركة تضم الجبهة القومية ومنظمة التحرير تحت اسم جبهة تحرير اليمن المحتل لتحقيق توازن ضده سياسيا وعسكريا حتى تحقيق الاستقلال.

وكان يقود ذلك سيد احمد ــ سالم زين ــ على السلامى ــ طه مقبل ــ عبد الفتاح إسماعيل ــ أحمد الشاعر ــ عبد الله الاصنج ــ محمد سالم باسندوة ــ على عيد ــ عبد الله الجبل.

فى سبتمبر سنة ٦٥ سافرت العناصر السياسية لعرض القضية على الأمم المتحدة.

وتحقق لهم إصدار قرار يؤكد حق الشعب في تقرير مصيرة وإزالة القواعد العسكرية، ومناشدة دول العالم لتقديم كافة المساعدات الممكنة لشعب الإقليم من أجل الحرية والاستقلال، واضطرت بريطانيا الى الاعلان بمنح الاستقلال للجنوب اليمنى فيما لايتجاوز عام ١٩٦٨ ولكنه تم فى ٢٩/ ١١/ ١٩٦٧ وكان جمال عبد الناصر في جميع مراحل القضية يتفادى أن يتحول الأمر في النهاية الى حرب اهلية ، لذلك فعندما سلمت بريطانيا السلطة لقيادة الجبهة القومية عقب إعلان الانسحاب فى ٢٩/ ١١/ ٦٧ باعتبار أن الجبهة كانت تشكل أكبر قوة حسب تقديرهم، أعلن جمال عبد الناصر فى نفس اليوم اعتراف مصر بحكومة اليمن بقيادة الجبهة القومية بعد أن تحقق الهدف الذى سعت اليه القاهرة وعملت من أجله وهو تحرير اليمن الجنوبى من الاستعمار البريطانى.

وهكذا تحرر اليمن كله شماله وجنوبه ، وكانت يد عبد الناصر سباقة فى رفع علم الاستقلال على اليمن. . الذى توج نضاله الطويل بأن توحد أخيراً.